مجلة جامعة الملك سعود، م٤، الآداب (٢)، ص ص ٥١١-٥٥٦ (١٤١٢هـ /١٩٩٢م).

دراسة تحليلية في الصراع البيزنطي ـ الساساني حول أرمينية من ٢٨٤ إلى ٣٦٤م

عبدالعزيز بن درويش حكيم

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد بتاريخ ١٤١٠/٨/٢هـ، وقبل للنشر بتاريخ ١٤١١/٣/١٤هـ)

ملخص البحث. تناولت الدراسة الصراع بين الدولتين المتنازعتين البيزنطية والساسانية لتعارض مصالحهما، فقيام الدولة الساسانية على يد أردشير الأول (٢٢٤ ـ ٢٤١م) وتدعيم هيبة السلطان الساساني في عهد شابور الأول (٢٤١ ـ ٢٧٢م) وانتقال ميزان القوى والحكم بعد تسنم دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) إلى نرسي أذكى أوار الصراع التقليدي بين الدولتين، وأجبر الملك نرسي على توقيع معاهدة ٢٩٧م، التي من بنودها جعل أرمينية ونصيبين ذواتي الموقع التجاري المهم تابعتين للإمبراطورية البيزنطية. وانصبت دراستنا على منطقة أرمينية لأنها من المناطق ذات الموقع المميز عسكريا، والمهم اقتصاديا للساسانيين والبيزنطيين آنذاك، وكذلك تركزت الدراسة على أرمينية، لأن دراسة الصراع حول أرمينية تعد أساسا لدراسة الصراع بين الدولتين بعد ذلك وبخاصة في جنوب الجزيرة العربية.

اهتمت الدولة الساسانية عقب توقيع المعاهدة وتخلي نرسى عن السلطة (حوالي ٣٠١م) بالمشكلات الداخلية، مما ساعد بطريقة غير مباشرة قنسطنطين على توحيد الإمبراطورية، واتخاذ القنسطنطينية عاصمة. تعد مباشرة شابور الثاني السلطة تجسيدا لهيبة السلطان، وانبعاث القوة الساسانية، فهاجمت أرمينية وسلختها من التبعية البيزنطية. واستفاد الساسانيون من حالة النزاع والقلق الديني التي انتابت الامبراطورية بعد وفاة قنسطنطين فتحللت عنوة من ربقة معاهدة ٢٩٧م، واضطرت جوفيان الذي أصبح إمبراطورا بعد مقتل جوليان في أرض المعركة على توقيع معاهدة ٣٦٣م التي أضحت بموجبها عموم أرمينية ونصيبين تابعة للدولة الساسانية.

إن دراسة الصراع البيزنطي ـ الساساني موضوع ليس من اليسير على الباحث تناوله في بحث واحد لطول الفترة الممتدة من قيام الدولة الساسانية حتى سقوطها في عهد الخليفة عثمان بن

عفان رضي الله عنه، أي من ٢٢٤ إلى ٦٥٢م. ولتعدد مسببات الصراع، وعناصر التشابك وتجددها سيقوم هذا البحث بدراسة الصراع بين الدولتين منذ سيطرة الإمبراطور دقلديانوس على الحكم سنة ٢٨٥م حتى نهاية حكم جوفيان سنة ٣٦٤م. ولكي نبرز طبيعة الصراع يجب علينا دراسة التغير الذي أحدثه مجيء الساسانيين للحكم وقضاؤهم على الدولة الأشكانية، وأيضًا مناقشة أثر اتخاذ دقلديانوس نيقوميديا مركزًا للإمبراطور على هذا الصراع.

ومن دوافع الكتابة في هذا الموضوع أن منطقة أرمينية تمثل بؤرة الصراع البيزنطي ـ الساساني عشية العصور الوسطى، وتعد الدعامة الأولى لمعرفة أبعاد الصراع البيزنطي ـ الساساني في المناطق المتاخمة للدولة البيزنطية في أرض الجزيرة وفي جنوب الجزيرة العربية في القرون اللاحقة؛ هذا من جهة، ومحاولة معرفة أثر النزاع على وحدة الإمبراطورية البيزنطية بطريقة مباشرة ـ أو غير مباشرة ـ من جهة أخرى.

هناك مستجدات حدثت وأثرت على صيرورة الصراع وكينونته، منها أولا انتشار الديانة المسيحية في الشرق، ثانيا انتقال مركز السلطة في الإمبراطورية من روما إلى نيقوميديا، ثالثا اعتراف قنسطنطين بالمسيحية، ومن ثم جعل القنسطنطينية عاصمة الإمبراطورية، رابعا انتشار المسيحية في منطقة أرمينية حيث اعتنقها الحاكم المحلي تريدات الثالث. هذه العناصر أو المستجدات لا ريب أنها صبغت النزاع بصبغة لم تكن موجودة عندما كانت ديانة الامبراطورية الوثنية وكانت عاصمتها روما.

أما عن أهمية موقع أرمينية للدولتين، فإن الموقع[1] الجغرافي لأرمينية بين دولتين كبيرتين متنازعتين كان عداؤهما تقليديا، وتعارض مصالحهما ودياناتهما سياسيا، وهما الدولة البيزنطية والدولة الساسانية مما أدّى إلى استمرار تنازع هاتين القوتين، وتحاربهما للسيطرة على أرمينية.

---

(١) في الواقع ليس لأرمينية آنذاك حدود طبيعية، فقد كانت عرضة للتقلص والمدّ حسب الحروب بين الدولتين. لمعلومات تفصيلية عن الموقع والمناخ والسكان. انظر: ل. استارجيان، *تاريخ الأمة الأرمينية* (الموصل: مطبعة الحياة، ١٩٥١م)، ص ص ١٢٧ ـ ١٣٠؛ بول آميل، *تاريخ أرمينية*، ترجمة شكري علاوي (بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٥م)، ص ص ٨، ١١.

فمن الناحية العسكرية لم تكن منطقة أرمينية الكبرى برمتها ميدانا للصراع العسكري بين الدولتين وإنما ميدان الصراع يبدأ تقريبا من المنطقة الممتدة من مدينة طرابزون ذات الموقع التجاري المميز على البحر الأسود شمالا حتى مدينة طرسوس قرب البحر المتوسط جنوبا. فالجزء المتاخم للإمبراطورية البيزنطية من منطقة أرمينية يعد قاعدة للدفاع عن إقليم كبادوكيا، وتؤلف منطقة حماية للحكم في لازيقا.[٢] وبعبارة أخرى فسيطرة أي من الدولتين العدوين على منطقة أرمينية تجعل مدن وثغور عدوه المتاخمة تحت رحمته، أي إخضاع أرمينية وجعلها ضمن التبعية البيزنطية يضعف قدرة الدولة الساسانية عن الدفاع عن مدنها ودساكرها المتاخمة لأرمينية، ويترتب على سقوط الأراضي الساسانية المتاخمة لأرمينية بيد البيزنطيين أن تتعرض أرض الجزيرة وأذربيجان والري للخطر البيزنطي. ومن ناحية أخرى، ففي حالة استيلاء الساسانيين على أرمينية تصبح منطقة الثغور والمدن البيزنطية المتاخمة لأرمينية تحت رحمة الجيوش الساسانية، وفي الوقت نفسه، تتمكن القوة الساسانية من حماية أرض الجزيرة وأذربيجان وغيرها من المدن الرئيسة الواقعة في المنطقة.

ومن حيث أهمية أرمينية من الناحية الاقتصادية فإنه يمر عبرها الطريق التجاري القادم من الشرق الأقصى إلى طرابزون على البحر الأسود، وأي من الدولتين تضم أرمينية إلى تبعيتها تتحكم في الطريق التجاري الذي يصب في طرابزون، ويصبح له منفذ بحري على البحر الأسود. إن أهمية أرمينية العسكرية للدولتين، في الفترة التي ندرسها، لتبرز أهميتها الاقتصادية لأن تجارة الشرق إلى الغرب أو البحر المتوسط كانت تسلك عدة طرق،[٣] أحدها الطريق عبر أرمينية الذي يصب في طرابزون.

وهناك عنصران أساسيان لهما مساس مباشر في إبراز الصراع بين الدولتين، هما:

---

(٢) موس ميلاد، *العصور الوسطى*، ترجمة عبدالعزيز جاويد (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦٧م)، ص ٢٠٧.

(٣) ستيفن رنسيمان، *الحضارة البيزنطية*، ترجمة عبدالعزيز جاويد والعريني (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١م)، ص ١٩٤.

١ ـ عدم وجود ديانة واحدة في أرمينية ـ قبل انتشار المسيحية ـ توحد مواطنيها، أو تكون عنصر ربط بينهم.(٤)

٢ ـ عدم ظهور أبجدية توحد الكتابة بين أجزاء أرمينية حيث تكونت الأبجدية في سنة ٤٠٥م.(٥)

بناء على ما سبق فإن الصدام العسكري بين الدولتين في منطقة الحدود الشمالية الشرقية لم يكن يحتاج إلى دواع وأسباب غير مباشرة لأن العداء تقليدي ومستمر ما دام للقوتين مصالح حيوية في منطقة أرمينية.

وربما يكون لزاما علينا الإشارة إلى أن تناولنا لبعض النقاط المتعلقة بالحالة الداخلية وذات المساس المباشر بالصراع بين البيزنطيين والساسانيين في أكثر من مكان في هذا البحث ضرورة تعينها طبيعة الدراسة، وتعدد المشكلات الداخلية في الدولتين، وندرة تزامن المشكلات في الدولتين. فمثلا حدث أن الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٥ ـ ٣٠٥م) عاصره أربعة ملوك ساسانيون، والملك شابور الثاني (٣١٠ ـ ٣٧٩م) زامنه سبعة أباطرة من البيزنطيين، ولكل من الأباطرة والملوك فعالية أو عدم فعالية بالنسبة للحالة الداخلية في بلادهم، وفي كلتا الحالتين كان هناك تأثير على كُنْهِ الصراع بين الدولتين.

ويجب الإشارة إلى أن لفظة «الرومانية» سترد في المقالة مقترنة بكلمة «الإمبراطورية» في أثناء الحديث عن الفترة التي سبقت سيطرة دقلديانوس على السلطة واتخاذه نيقوميديا بيضة للإمبراطورية (سنة ٢٨٤م) بينما الكلمة «البيزنطية» ستكون رديفة للفظة «الإمبراطورية» إلى نهاية الفترة موضوع البحث (٣٦٤م).

---

(٤) آميل، *تاريخ أرمينية*، ص ١٨، وذكر أن المسيحية انتشرت في عهد الملك تريتاد الثالث سنة ٣٠٢م.

(٥) آميل، *تاريخ أرمينية*، ص ١٩؛ وهناك من يرى أن الأبجدية الأرمينية كونت على يد الملك فرام شاه بوه وآخرين سنة ٤٣٨م، راجع: جيان، *تاريخ الأمة الأرمينية*، ص ٩٨. وكان سكان أرمينية يستعملون اللغة اليونانية في شؤونهم الأدبية واللغة البهلوية ـ الساسانية لتسيير شؤونه الإدارية.

إن الهزيمة القاسية التي ألحقتها الإمبراطورية الرومانية بالدولة الإشكانية في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي، إضافة إلى الهجمات العنيفة والمؤثرة والمتعاقبة التي قام بها الرومان على الأراضي الإشكانية من جهة الحدود الشمالية الشرقية للدولة الإشكانية، أي من منطقة أرمينية التي كانت آنذاك ضمن التبعية الرومانية، كشفت المشكلات الجوهرية التي كانت تعاني منها الدولة الإشكانية وأبرزتها. ومن هذه المشكلات تدهور قوة الدولة الإشكانية العسكرية، وضعف سلطة تيسفون المركزية، وفقدان هيبتها، وعدم سيطرتها على جميع ولايات الدولة. ففي العقدين الأولين من القرن الثالث الميلادي أضحت النزعة الاستقلالية عن السلطة المركزية مألوفة في شرق الدولة الإشكانية وغربها وشمالها وجنوبها. فمثلا غدت إصطخر ولاية يحكمها الملك جوتجهر، وأصفهان ملكها شادشابور، وخسرو ملكا لأرمينية، والملك المحلي ولجش هو المتصرف في إدارة شؤون[٦] كرمان، وأصبح الحكم المستقل هو الصفة السائدة في إيران الإشكانية. ولكن لماذا ظهرت النزعة الاستقلالية؟ ولماذا نضجت في العقد الثالث من القرن الثالث الميلادي؟ في الواقع أن الأسباب التي أدت لهذا كانت عوامل مشتركة متداخلة اجتماعية واقتصادية وعرقية وأسباب أخرى مثل ضعف السلطة المركزية، وتدهور تنظيم الجهاز الحكومي، والحروب الداخلية، لكن هذا البحث ليس محلا لمناقشتها، وإنما سنذكر النقاط ذات المساس المباشر والتي تساعدنا على معرفة طبيعة الصراع البيزنطي ـ الساساني حول أرمينية.

فتدهور الأحوال السياسية والاقتصادية التي كانت عليها الدولة الإشكانية في العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث الميلادي تعد من أبرز العوامل التي ساعدت بابك وابنه أردشير على تكوين الدولة الساسانية وقيامها. وبعبارة أخرى فإن فترة حكم الملك الإشكاني أردوان الخامس (٢١٦ ـ ٢٢٤م)[٧] شاهدت نضج النزعة الاستقلالية المتمثل في

---

(٦) آرثر كريستنسن، *إيران في عهد الساسانيين*، ترجمة يحيى خشاب (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧م)، ص ٧٥.

(٧) حسن بيرنيا، *تاريخ إيران القديم*، ترجمة السباعي محمد السباعي، ومحمد نور الدين عبدالمنعم (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٨١م)، ص٣٦٨.

تصاعد نفوذ حكام الولايات في الدولة الإشكانية مع زيادة حاجة الحكومة المركزية إلى الدعم العسكري والمالي.

تمكن أردشير بن بابك بن ساسان من قتل الملك أردوان الخامس آخر الملوك الإشكانيين حوالي سنة ٢٢٤م[٨] في معركة «هورمزدجان،»[٩] وكان أردشير قبل ذلك قد قضى على نفوذ بعض الأسر النبيلة مثل أسرة قورين، وساعدته على هذا أسرة سورين، كما أخضع بعض الملوك المحليين مثل حكام كل من كرمان وأصفهان ودرابجرد، وتمكن من القضاء على خسرو الأول الإشكاني،[١٠] الذي كان حاكما محليا لأرمينية.

وأعقب أردشير إنجازاته العسكرية مستفيدا من الظروف العصيبة التي كان يعيشها الناس نتيجة للفساد في النظم الإدارية، وتدهور الحالة المالية، وضعف السلطة المركزية الإشكانية،[١١] بتوثيق الروابط بطبقة الموبدان[١٢] (رجال الدين)، واتخذ مدينة تيسفون عاصمة للدولة الساسانية بدلا من إصطخر التي بدأ منها حروبه لتكوين الدولة.[١٣]

---

(٨) هناك خلاف بين الكتّاب عن السنة التي قتل فيها أردوان، والرأي الشائع هو ٢٢٤م. انظر: R.N. Frye, "The Political History of Iran under the Sasanians," *Cambridge History of Iran* (Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1983), vol. 3 (1), p. 120.

(٩) نسبة إلى وادي هورمزدجان الذي يتعذر تحديد موقعه الآن لقلة المعلومات، وفي الوقت ذاته عدم وجود دراسة من قبل المهتمين بدراسة تاريخ الدولة الساسانية.

(١٠) Frye, p. 120.

(١١) أطلق محمد بن جرير الطبري في *تاريخ الأمم والملوك*، ط٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م)، مج٢، ص٦٠؛ والثعالبي، *غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم*، تحقيق زوتنبرج (باريس: المطبعة الأهلية، ١٩٠٠م)، ص ٢٥، على الفترة بين نهاية الإسكندر ونهاية حكم الإشكانيين «بعهد ملوك الطوائف»؛ ولكن كريستنسن، *إيران*، ص٨، يرى أن التسمية غير صحيحة.

(١٢) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٢٤.

(١٣) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٢١.

كان الطابع المميز لنظام الدولة الساسانية هو تقوية نفوذ الدولة، وهيبة السلطة المركزية واتخاذ دين رسمي واحد، وجعل الفرد وطبقات الشعب يستشعرون قوة الملك وهيبته. ولتحقيق ذلك قام أردشير[١٤] بالتأكيد على جعل السلطة مركزية فاستبدل نظام الملوك المحليين بحكام يعيّنهم من طبقة النبلاء، وأمر أن تكون الزرادشتية الدين الرسمي للدولة.[١٥] فالزرادشتية أعطت الدولة الساسانية وحدة عقائدية لم يفتتها الصراع المذهبي الزرادشتي، وفي الوقت نفسه أعطت سلطة أردشير ومن حكم من عقبه التأييد والدعم، مما كان له أثر إيجابي في الصراع مع البيزنطيين. وبذلَ أردشير الجهد كذلك في تكوين جيش قوي لحماية الدولة، وتحقيق أهداف الملك التي منها تأكيد سلطان أردشير المطلق،[١٦] وإعطاؤه القدرة على متابعة التنظيمات المتعلقة بتقسيم طبقات المجتمع الساساني وتنفيذها وإدارة الجهاز الحكومي، وجعل رئيس طبقة رجال الدين الزرادشتي (الموبدان موبد) يتسلم مركزا عاليا ونافذا في الدولة، مثل السماح له بتعقب المرتدين.[١٧] وبعبارة أخرى إن مركز «الموبدان موبد»[١٨] كان له أثر فعال في جميع المسائل الروحية المتعلقة بالصراع البيزنطي ـ الساساني.

في الواقع إن مجيء الساسانيين للحكم ليس بالحدث السياسي وحسب بل بداية لوحدة وطنية بعيدة المدى يمكن تلمس معالمها في بنية هيكلها العسكري، والإداري، وكذلك في الناحية الفكرية، والاجتماعية التي طرأ عليها بعض التغيير خلال القرون الأربعة

---

(١٤) ساعد الكاتب الفارسي تنسر الملك أردشير الأول في وضع التنظيمات، وقد ترجم كتاب تنسر إلى اللغة العربية، ترجمه يحيى خشاب (القاهرة: د. ن، ١٩٥٧م).

(١٥) كريستنسن، *إيران*، ص ١٤١.

(١٦) كريستنسن، *إيران*، ص ١٣٠.

(١٧) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٢٥.

(١٨) «الموبدان موبد» هو رئيس رجال الدين الزرادشتي، ويمثل أعلى سلطة دينية في البلاد، مثل: البابا عند المسيحيين، فهو المرجع الأول في تفسير نصوص الأوستا وتوضيحها، والموبدان موبد هو الفيصل في المسائل الدينية في الأصول والفروع. ومن صلاحية رئيس رجال الدين تعيين وإقصاء رجال الدين والفتوى فيما يتعلق بالناحية الدينية. وكان من المفروض أن يستشيره الملك في المسائل ذات المساس بالناحية الدينية. انظر: كريستنسن، *إيران*، ص ١٠٦.

التي عاشتها الدولة الساسانية (٢٢٤ ـ ٦٥٢م). ولكن كُنْه (وروح) تنظيمات أردشير وابنه شابور الأول التتميمية بقى حتى سقوط الدولة الساسانية في سنة ٣١هـ/٦٥٢م. ونجح أردشير في غرس هيبة الدولة الساسانية الفتية لدى الأعداء التقليديين، الرومان، ودلالة ذلك تمكن أردشير من مهاجمتهم في سنة ٢٣٠م وحوالي سنة ٢٣٨م.[١٩] وسواء أكان مرد ذلك قوة الدولة الساسانية أو أحوال الإمبراطورية الرومانية، فليس هذا البحث مكان دراسته.

توفي أردشير في حوالي سنة ٢٤١م، وخلفه في الحكم ابنه شابور الأول الذي ساعد أباه في الحكم منذ سنة ٢٣٨م. والواقع أن تسلم شابور الحكم (٢٤١ ـ ٢٧٢م)[٢٠] لم يكن عنصر تدعيم للسلطة الساسانية وتمكين لها فقط بل كان أيضا عامل توسع للدولة، وتعميق لهيبة السلطان. لقد تمكن شابور من تحقيق انتصارات على الرومان اختلف الكتاب في تحديد تواريخ بعضها، ولم يختلفوا في ذكر أبرز نتائجها. ففي السنين الأولى من عهد شابور الأول (سنة ٢٤٣ أو سنة ٢٤٤م) هاجم الإمبراطور جورديان الثالث (٢٣٨ ـ ٢٤٤م)[٢١] الدولة الساسانية مستفيدا من انشغال شابور في القضاء على المشكلات الداخلية وانتصر على الساسانيين في معركة ريسانيا Resania ،[٢٢] فتوفي أو قتل[٢٣] جورديان الثالث، وخلفه

---

(١٩) هاجم أردشير نصيبين وسوريا وبعض المناطق في شرق الإمبراطورية الرومانية ولم يستجب أردشير لمطلب الإمبراطور الإسكندر سيفيروس بعقد معاهدة مما حدا بسيفيروس مهاجمة الدولة الساسانية من ناحية أرمينية ومنطقة نصيبين. وبناء على ما ذكره المؤرخ ليورادبتسا من أن الرومان حققوا نجاحا في ناحية أرمينية على حين أن الهجوم على الناحية الجنوبية فشل، والدليل على ذلك الاحتفال بالنصر الذي أقامه سيفيريوس في روما. على أية حال فإن أردشير عاود الهجوم على نصيبين والمناطق المحيطة حوالي عام ٢٣٨م مستفيدا من الاضطراب في الإمبراطورية الرومانية نتيجة لمقتل الإمبراطور سنة ٢٣٥م، وشارك أردشير ابنه شابور. راجع: Leo Raditsa, "Iranians in Asia Minor," *The Cambridge History of Iran* (Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1983), vol. 3 (1), pp. 124-25.

(٢٠) الباز العريني، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى* (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٨م)، ص١١.

(٢١) كان شابور مشغولا في القضاء على الثورات التي قام بها الخوارزميون والجيليون والميديون وغيرهم، راجع: كريستنسن، *إيران*، ص٢٠٩.

(٢٢) Frye, p. 126.

(٢٣) Ibid.

على أرض المعركة الإمبراطور فيلّيب العربي (٢٤٤ ـ ٢٤٩م)، وواصل الحرب ضد شابور، ولكن شابور استطاع أن يلحق الهزيمة بفليب سنة ٢٤٤م، وفرض عليه أن يدفع (٥٠٠,٠٠٠) دينار ذهبا، وأصبحت أرمينية تابعة للساسانيين، واشترط عليه ألا يقوم بمساعدة الحاكم الإشكاني بأرمينية[٢٤] تيريدات الثاني الذي اغتاله بعد ذلك الأمير أناك.[٢٥] وربما تم ذلك بإيعاز من شابور، ففر ابن تيريدات إلى الإمبراطورية الرومانية، ولعل ذلك كان السبب المباشر في تجدد الصراع بين الدولتين، حيث قام شابور في سنة ٢٦٠م بمهاجمة الإمبراطورية، وبلغ أنطاكية وكبادوكيا، وحقق انتصارا عزيزا من أهم نتائجه أسر الإمبراطور فاليريان وعدد من جنوده.[٢٦] ويبدو أن الإمبراطور الأسير ومن معه تعرضوا لأصناف الذل والهوان.[٢٧] وقد سجلت هذه الانتصارات على بعض النقوش الساسانية (نقش رستم). ولم يهنأ شابور بانتصاره حيث هاجمه التابع للنفوذ الروماني حاكم تدمر،[٢٨] أذينة مما اضطر شابور إلى النكوص صوب عاصمته تاركا نصيبين والأقاليم التي هاجمها في آسيا لأذينة. على أية حال لم يقم شابور الأول برد فعل عسكري ضد أذينة. فهل كان ذلك لظهور المانوية كمشكلة داخلية؟ أم لتقدم سن شابور؟ فسواء أكان هذا أم ذاك فإن شابور في حوالي سنة ٢٦٢م عين ابنه وولي عهده هرمزد حاكما على أرمينية لأهميتها[٢٩] من جهة، ولأنها آخر جزء ضم إلى حظيرة الدولة، من جهة ثانية.

---

(٢٤) Ibid.

(٢٥) Ibid.

(٢٦) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٢٧. وذكر أن شابور عقب أسره لفاليريان نصّب سيرياديس الأنطاكي إمبراطورا.

(٢٧) كريستنسن، *إيران*، ص ٢١٠.

(٢٨) كريستنسن، *إيران*، ص ٢١٣.

(٢٩) فقد جرت العادة أن يولى الابن الأكبر أهم الولايات. كريستنسن، *إيران*، ص ٢١٨. ولم يشر كريستنسن (ص ٢١٧) مباشرة إلى أن شابور الأول أسند حكم أرمينية إلى أكبر أبنائه وولي عهده هرمزد، ولكنه ذكر أن شابور ولّى ابنه هرمزد بعد طرد تريدات من حكم خراسان سنة ٢٥٢م مع اللقب «شاهنشاه بزرك كوشان»، أي رئيس ملوك كوشان العظيم.

توفي شابور الأول سنة **٢٧٢**م وحكم بعده ابناه هرمزد وبهرام الأول،[٣٠] حوالي أربعة أعوام، وليست لدينا معلومات دقيقة عن العلاقة بين الدولتين آنذاك.

وحكم بهرام الثاني بعد أبيه بهرام الأول حوالي سبعة عشر عاما (**٢٧٥ ـ ٢٩٣**)،[٣١] وزامن الإمبراطور الروماني كاروس الذي قاد هجوما عسكريا على الدولة الساسانية وتوغل في أراضيها حتى ضيق على عاصمتها، ولكن موته المفاجىء[٣٢] أدى إلى انسحاب الجيش الروماني صوب بلاده دون ملاحقة من الجيش الساساني. ويبدو أن السبب تدهور الأحوال الداخلية في الدولة الساسانية، ويؤكد هذا المعاهدة التي وقعها بهرام الثاني سنة **٢٨٣**م مع الجيش الروماني المنسحب أُعيدتْ بموجبها أرمينية وبلاد ما بين النهرين اللتان كانتا ضمن التبعية الساسانية منذ معاهدة **٢٥٣**م إلى حظيرة النفوذ الروماني. والذي اضطر بهرام للتنازل عن أرمينية هو توحيد القوى لمجابهة الثورة التي قام بها أخوه هرمزد في القسم الشرقي من البلاد حيث لقب هرمزد بلقب ملك «كاشان» العظيم، فتمكن بهرام الثاني من قمع الثورة والقضاء عليه، وعين ابنه بهرام حاكما على منطقة «كاشان»، وكان ثمن انتصار بهرام الثاني على أخيه هرمزد انسلاخ أرمينية من التبعية الساسانية.

وتوفي بهرام الثاني سنة **٢٩٣**م ومنطقة أرمينية ضمن التبعية الرومانية، وحكم بعده ابنه بهرام الثالث الذي أقصي من السلطة في العام نفسه الذي تولى[٣٣] فيه الحكم

---

(٣٠) أحمد بن يعقوب اليعقوبي، *تاريخ اليعقوبي*، ط ٣ (بيروت: دار النهضة العربية، **١٩٥٨**م)، مج١، ص١٦١. ذكر أن بهرام الأول ابن لهرمزد على حين أنه أخ لهرمزد وابن لشابور.

(٣١) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص **٣٦٩**.

(٣٢) كريستنسن، *إيران*، ص **٢١٧**.

(٣٣) يختلف الكتّاب حول نسب نرسي، فالطبري، *تاريخ الأمم*، مج١، ص **١٢٠**، يذكر «. . . ثم قام بعده (أي بعد بهرام الثاني نرسي بن بهرام وهو أخو بهرام الثالث.» وشارك الطبري في هذا القول كل من علي بن الحسين المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، ط١ (القاهرة: المطبعة الأزهرية، **١٣٠٣**هـ)، مج١، ص٨٠؛ أحمد بن داود الدينوري، *الأخبار الطوال*، ط١ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، **١٩٦٠**م)، ص **٤٧**؛ واليعقوبي، *تاريخ*، مج١، ص **٤٠**؛ على حين يذكر أسد رستم، *الروم*، ط ١ (بيروت: دار المكشوف، **١٩٥٥**م)، مج١، ص **٤٩**، أن نرسي ابن لشابور.

(٢٩٣م). وقد أبعد بهرام الثالث[٣٤] عن الحكم بسبب النزاع الذي شب بينه وبين نرسي حول السلطة، وكاد النزاع يفصم وحدة الدولة، إذ تمكن نرسي من السيطرة على تيسفون وأكثر أجزاء الدولة. ويتصل بهذا ما أورده الطبري من أن بهرام الثالث احتفظ بأجزاء من القسم الشرقي من البلاد، ولم يؤيده في هذا كتاب آخرون. وكذلك ليس هناك إشارة مباشرة أو غير مباشرة تفيد أن نرسي قبل اصطدامه بالبيزنطيين قضى على الفتن أو نفوذ بهرام الثالث في شرق البلاد.

أما فيما يتعلق بالحالة السياسية والاقتصادية في الإمبراطورية الرومانية في العقدين قبل الأخير من القرن الثالث الميلادي، فإنها شهدت استشراء التدهور والسخرة في الحياة الاقتصادية، وازدياد نمو الإقطاعات والضياع الكبيرة في أنحاء الإمبراطورية، إضافة إلى الفوضى التي عمتها في القرن الثالث، واضطراب حياة المدن، والإلزام في السخرة، والفقر، وتسلط العسكر. كل ذلك يبين مدى الاضمحلال الذي وصلت إليه قوة السلطة المركزية آنذاك، مما حدا بالكتاب أن يطلقوا على هذه الفترة «أزمة القرن الثالث،»[٣٥] التي تعد مرحلة حرجة عصيبة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية عشية العصور الوسطى.

فالحالة الداخلية في الإمبراطورية عانت من الحروب الأهلية والفوضى الشاملة التي عاقت الحركة التجارية وعطلتها إذ أضحت الطرق التجارية البرية والبحرية غير مأمونة[٣٦]

---

(٣٤) أورد بيرنيا أن نرسي جلس على دفة الحكم بعد بهرام الثالث في سنة ٢٨٢م، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٢، والصواب هو ٢٩٣م، وفي المكان نفسه أن أرمينية كانت ضمن التبعية الساسانية منذ عهد أردشير الأول (٢٢٦ ـ ٢٤٢م) حتى عهد نرسي ٢٩٣م، وعلل سبب انتقال تبعية أرمينية في عهد نرسي من الساسانيين إلى البيزنطيين «أن الأرمن لم يقبلوا أمراء الأسرة الساسانية نظرا لتعصبهم للديانة الزرادشتية» ولم يذكر مرجعه. ويجب التحرز مما ذكره بيرنيا (ص ٢٢٦) لإغفاله الواقع. وهو عدم سيطرة أردشير الأول على أرمينية، وأن أول ملك ساساني تمكن من بسط السيادة الساسانية على أرمينية هو شابور الأول. لمعلومات أكثر راجع: كريستنسن، *إيران*، ص٢٠٨.

(٣٥) سعيد عاشور، *أوربا العصور الوسطى*، *(التاريخ الساساني)*، ط٥ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢م)، مج١، ص٣٢.

(٣٦) العريني، *تاريخ أوربا*، ص ١٩.

بسبب ضعف السلطة، وازدياد نسب الضرائب المفروضة على السلع والمنتوجات الزراعية، وكذلك على الأراضي الزراعيّة، وعلى أرباب الحرف والتجار. أما المستأجرون فكانوا ملزمين بدفع إيجارات أكثر وبالقيام بخدمات إضافية لكبار الملاك. وكثيرا ما كان المزارع الصغير يعجز عن توفير الضرائب التي تفرضها السلطة فيضطر إلى رهن حيازته الزراعية[٣٧] ومن ثم يمسى عاملا لا مالكا، نتيجة لعجز المزارع الصغير عن فك رهن أرضه. وازداد نتيجة لهذه الحالة تدهور الضياع الكبيرة، وقلّت الأراضي الزراعية الصغيرة. أما الأفراد الاعتياديون من الحرفيين والصناع والنقابات من سكان المدن، فكانوا ملزمين بدفع الضرائب لا إلى السلطة وحسب وإنما عليهم دفع ضرائب إضافية مثل الاحتفال بالتتويج السنوي، وضرائب صيانة الطرق، وتنظيف الميادين وقنوات الري والجسور وغير ذلك من الخدمات الإلزامية. وقد أدى هذا إلى تدهور الحالة الاقتصادية، وتدني نسبة الإنتاج كمًّا ونوعا، وانتشار الأسقام وزعزعة هيبة السلطة، واختفاء النقد الجيد، وتداول النقد الرديء الزائف، وارتفاع الأسعار لتوقف العمل في مناجم الذهب والفضة.[٣٨]

ومن مظاهر الفوضى والاضطراب وضعف هيبة الحكم في الإمبراطورية قبل سنة ٢٨٥م وصول القادة العسكريين إلى الحكم، فصاروا يعزلون ويولّون الحكام، وأصبح لهم أقوى الأثر والنفوذ على سلطة الإمبراطور، وكان دقلديانوس أحد هؤلاء القادة العسكريين الذين تولّوا السلطة عن طريق الجند حيث اختاره العسكر بعد موت الإمبراطور نميريان Numerian حاكما.[٣٩]

صحيح أن دقلديانوس ليس أول الأباطرة الذين أحسوا بمشكلات الإمبراطورية في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وبادروا بمحاولة علاجها، فهناك بعض الأباطرة

---

(٣٧) Rostovstzeff, *A History of the Ancient World* (Oxford: Blackwell, 1928), p. 117.

(٣٨) أدوارد جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها*، ترجمة محمد علي أبودرة (بيروت: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩م)، مج ١، ص ٢٨٦.

(٣٩) العريني، *تاريخ أوربا*، ص ٣٥.

الـذين حكمـوا بعـد أسرة سفيروس، أي من سنة ٢٣٥ حتى ٢٨٤م، مثل الإمبراطور أورليانوس (٢٧٠ ـ ٢٧٥م)، فقد قاموا بمجهودات لمعالجة تحلل النظم الإدارية والحربية وتدهور النظم المالية، وزيف النقود، إلا أن محاولاتهم لم تتسم بالعمق والشمول، بل كانت جزئية إذا ما قورنت بمجهودات دقلديانوس الذي قام بأعمال جسدت أفكاره كما جسدت لنا في الوقت نفسه عناصر التدهور والتحلل في شتى أصقاع الإمبراطورية.

فلكي يعيد دقلديانوس هيبة الإمبراطور، ويقوي نفوذه، ويصلح الأجهزة الإدارية، ويعدل النظم العسكرية، بدأ بإيصاد الباب أمام قادة العسكر للوصول إلى الحكم فأصدر في السنين الأولى من حكمه النظام الذي جعل السلطة التنفيذية في الإمبراطورية في يد حاكمين رئيسين أحدهما يستقر في شرق الدولة، والآخر في غربها. ويطلق على كل منهما لقب (أغسطس)، وكان دقلديانوس هو أغسطس الشرق، حيث اتخذ من مدينة نيقوميديا[٤٠] مركزا له، وكان لقراره هذا أثر مباشر على الصراع مع الساسانيين. كما أنشأ دقلديانوس فرقة عسكرية مميزة الإعداد والتدريب comitatenses غير الجيش المسؤول عن الدفاع عن حدود الإمبراطورية، وجعل إمرة الفرقة بيده. ومن أبرز مهامها حماية الإمبراطورية والحيلولة دون قيام الفتن والثورات، فخلق دقلديانوس بهذا مناخا مستقرا لمعالجة مشكلات الإمبراطورية الداخلية والخارجية، حيث استطاع القيام بحملات ردع قضى بها على الفتن، من أهمها حروبه في حوض الدانوب، وضربه للسرامطة من سنة ٢٨٩ إلى ٢٩٢م، وقمع الفتنة التي قامت في مصر سنة ٢٩٦م، ومنع العرب من تهديد مصالح الإمبراطورية في بلاد الشام،[٤١] فأعطت محصلة هذه الإنجازات العسكرية والإدارية دقلديانوس قوة للصراع مع الساسانيين حول أرمينية.

عاصر كل من بهرام الثاني (تـوفي سنـة ٢٩٣م) ونـرسي (تـوفي سنـة ٣٠١م)[٤٢] الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) الذي اتخذ من نيقوميديا مقرا لحكمه، وكان لقراره

(٤٠) العريني، *تاريخ أوربا*، ص ٣٥؛ وراجع: بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٢٦.
(٤١) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٢٥.
(٤٢) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٣٦٩.

هذا أثر مباشر على النزاع بين الدولتين حول منطقة أرمينية بالذات، لأن البعد بين نيقوميديا وتيسفون غير البعد بين تيسفون وروما. وبعبارة أخرى، فإن العلاقة طردية في المسافة بين تيسفون ونيقوميديا، وتأجج الصراع بين العدوين التقليديين. صحيح أن البعد بين العاصمة الساسانية ومركز حكم أغسطس الشرق قد قصر ولكن لماذا قرب؟ ألأنَّ الشرق أضحى مركز الثقل الاقتصادي والبشري؟ أم لأنه باتت تحف به المخاطر وبخاصة في حوض الدانوب الأدنى لزيادة انسياح الجرمان صوب الجهة الشمالية والشرق الأدنى من الإمبراطورية؟[٤٣] أم لأن الدولة الساسانية انتقلت من مرحلة الوحدة وإعادة هيبة السلطة المركزية في عهدي حكم أردشير الأول وابنه شابور الأول والتي استغرقت حوالي نصف قرن إلى مرحلة درء الأخطار الخارجية واستعادة ما سلب منها من أرضين؟

ربما تكون العوامل السابقة مجتمعة ومتزامنة، إضافة إلى قمع انتشار المسيحية، والفتن في الشرق[٤٤] من أهم الدوافع التي حدت بدقلديانوس إلى جعل نيقوميديا مركزا لحكمه.

عين دقلديانوس تيريدات بن خسرو (وهو أحد الأمراء الأرمن الذين فروا إلى الرومان هربا من الساسانيين) حاكما على قسم من أرمينية وذلك في سنة ٢٨٦م،[٤٥] ولم يقم بهرام الثاني برد فعل تجاه هذا على الرغم من قمعه للثورة التي قام بها أخوه في شرق البلاد وتعيين ابنه بهرام حاكما على ذلك الجزء. يبدو أن تيريدات الحاكم المحلي حاول توسيع منطقة نفوذه في أرمينية على حساب النفوذ الساساني هناك، مما حدا ببهرام الثاني إلى تعيين نرسي بن شابور الأول حاكما على القسم[٤٦] الساساني بأرمينية، أو قائدا عسكريا لقوة ساسانية مساندة أرسلت إلى أرمينية للتصدي لتيريدات. وبقي نرسي في أرمينية الساسانية إلى أن غادرها عندما علم بوفاة بهرام الثاني.

---

(٤٣) G. Ostrogorsky, *History of the Byzantine State* (Oxford: Blackwell, 1968), p. 42.

(٤٤) Ostrogorsky, p. 44.

(٤٥) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٢.

(٤٦) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٢.

حكم نرسي الدولة الساسانية بعد بهرام الثاني الذي توفي في سنة ٢٩٣م . وقبل المضي في متابعة دراسة الصراع في عهد نرسي، يجب الإشارة إلى أن المراجع التي بين أيدينا لم تتحدث عن الأحوال الداخلية في عهد نرسي باستثناء ما أورده الثعالبي من إشارات غير مباشرة ربما يستدل منها على حدوث تغيير ما منذ فترة الملوك البهرامات (جمع بهرام)، فقد ذكر أن الملك نرسي كان قد ألْغى الإسراف[٤٧] في الملبس، وأمر بمشاركة جلسائه له في الطعام بدلا من الترفع عنهم خلافا لما كان عليه أكثر الملوك الساسانيين السابقين، ويمكن القول بلا تردد إن هذه إشارة غير مباشرة إلى أن العلاقة بين نرسي وطبقة الواسبوران (النبلاء) لم تكن وشيجة، كما أن لتغير السياسة الدينية لنرسي من مضطهد للمانوية إلى متسامح معها دلالة واضحة على عدم التجانس بين موقف نرسي وطبقة الموبدان الزرادشتيين وربما تسامح نرسي في الوقت نفسه مع المانويين كي يضمن ولاءهم في الإمبراطورية البيزنطية لأن دقلديانوس أصدر مرسوما ضد الاكليروس المانوي أثناء وجوده بالإسكندرية، وكان لهذا أثره في قوة تماسك الوضع الداخلي في الدولة الساسانية .

وأعقب نرسي مجيئه الشروع في استعادة القسم الغربي من أرمينية الذي ألحق بالنفوذ البيزنطي خلال فترة حكم سلفه بهرام الثاني، فاستغل نرسي في سنة ٢٩٦م انشغال دقلديانوس في قمع الفتنة[٤٨] بالإسكندرية وقام بإقصاء تيريدات بن خسرو الذي يحكم القسم الغربي من أرمينية والمتاخم لحدود الإمبراطورية .[٤٩]

كان رد فعل نيقوميديا لطرد تيريدات بن خسرو قيام جاليروس في بداية سنة ٢٩٧م مساعد دقلديانوس في الشرق[٥٠] في الهجوم على الدولة الساسانية من جهة بلاد النهرين، ولكنه وجيشه منيا بهزيمة قرب كالينكيوم Calhnicium كان من نتائجها مد السيادة الساسانية

---

(٤٧) الثعالبي، *غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم*، تحقيق زوتنبرج (باريس : المطبعة الأهلية، ١٩٠٠م)، ص ٥٠٨ .

(٤٨) Frye, p. 130.

(٤٩) عاشور، *أوربا*، ص ٣٦ .

(٥٠) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٣ .

على القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين. ودلالة على أن اتخاذ نيقوميديا مركزا للإمبراطور أعطى الإمبراطورية ميزة القرب من بؤرة الصراع مع الدولة الساسانية، أي منطقة أرمينية، في تجهيز الإمبراطورية جيشا بقيادة جاليروس لمحاربة الساسانيين في نهاية السنة نفسها (٢٩٧م).[٥١] ولكن منطقة الهجوم في هذه السنة كانت أرمينية بدلا من بلاد النهرين، ولكن لماذا غيرت الإمبراطورية منطقة الهجوم على الرغم من إقصاء النفوذ البيزنطي من أرمينية؟

ويبدو أن مهاجمة جاليروس للساسانيين من ناحية أرمينية دلالة على أن طرد نرسي لتيريدات لا يعني بسط النفوذ الساساني على عموم أرمينية والقضاء على اضطراب أحوالها نتيجة للتناحر والانقسام بين رؤساء الطبقات المتنفذة تبعا لاختلاف ولائها وتأرجح ميلها بين السلطتين الساسانية والبيزنطية، بل إن الهجوم عمّق التفكك الذي عانت منه أرمينية، وحرمها من تكوين حكومة قومية موحدة في هذه الفترة.

وكان اضطراب الأحوال في أرمينية عاملا أساسيا في تمكين الجيش الإمبراطوري الذي داهم الساسانيين ودحرهم، فهرب نرسي جريحا واستطاع جاليروس أن يأسر زوجة نرسي «أرسان» وبعض إخوته وأطفاله، وكذلك أفرادا من أبناء طبقتي الموبدان (رجال الدين) والواسبوران[٥٢] (النبلاء). نتيجة لهذا أصبح مركز الدولة الساسانية وهيبتها في مرحلة حرجة جدا، إذ فقدت أرمينية ومنطقة بلاد النهرين، إضافة إلى الأسرى، وتحطم بنيتها العسكرية، مما أجبر نرسي إلى عقد معاهدة مذلة مهينة مع جاليروس كان من أبرز بنودها ما يلي:

١ ـ تصبح أرمينية مقاطعة بيزنطية (انظر الخارطة رقم ١).

٢ ـ يعود تيريدات إلى حكم أرمينية، كذلك عدم تدخل الساسانيين في شؤون أرمينية.

٣ ـ إطلاق الأسرى كافة.

---

(٥١) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٢.

(٥٢) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، مج ١، ص ٢٩٢.

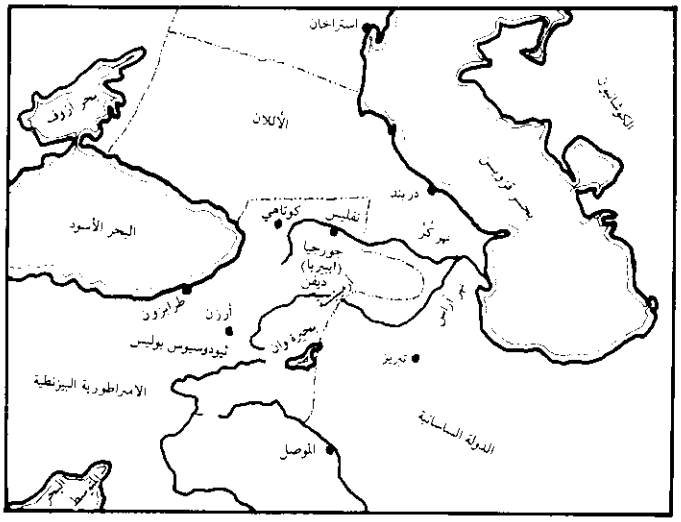

خارطة رقم ١ . توضح تبعية أرمينية للإمبراطورية البيزنطية بناء على معاهدة ٢٩٧م.

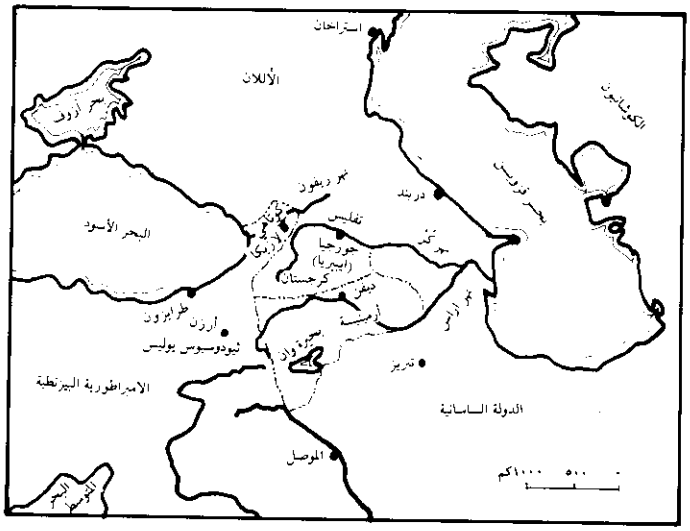

خارطة رقم ٢ . توضح تبعية أرمينية للدولة الساسانية بناء على معاهدة ٣٦٣م.

٤ ـ تصبح إيبيريا (جورجيا) تحت حماية الإمبراطورية البيزنطية، وفي الوقت نفسه يحمي البيزنطيون حدود الدولة الساسانية من ناحية إيبيريا، أي لا يسمح بأي وجود عسكري ساساني في إيبيريا.

٥ ـ يصبح نهر دجلة هو الحد الفاصل بين الدولتين، وفي الوقت نفسه تخضع كل من المناطق الخمسة التالية: أرزن، مك، زابدة، رحيمة، كاردو (كردو) لنفوذ حكومة نيقوميديا.

٦ ـ أن تكون قلعة نصيبين ذات المركز المميز على الطريق التجاري غرب نهر دجلة نقطة الاتصال الأوحد بين الدولتين ولكن هذا الشرط ألغي بناء على طلب نرسي.[٥٣]

كان لهذه الاتفاقية أثر كبير الفائدة على أكثر الجوانب ذات المساس المباشر وغير المباشر على حيوية الإمبراطورية ونمائها ومعالجة مشكلاتها، والعكس صحيح بالنسبة للدولة الساسانية.

في الواقع أنه لم يسبق للملوك أو الدولة الساسانية منذ تأسيسها على يد أردشير الأول سنة ٢٢٤م، وخلال صراعها مع الرومان، أن وقعت اتفاقية مثل اتفاقية سنة ٢٩٧م التي أفقدت الدولة الساسانية اتزانها، وأضعفت هيبتها،[٥٤] وجعلت الملوك الساسانيين التاليين لنرسي يساندهم الموبدان والواسبوران يجعلون التخلص من ربقة هذه الاتفاقية من أبرز أهدافهم.

إن معاهدة سنة ٢٩٧م تعد ترجمة لانتصار عسكري عزيز حققته الإمبراطورية البيزنطية، وترجمة فعلية لكنه الصراع بين الدولتين وأبعاده ولو من جانب الإمبراطورية المنتصرة، وهو عدم إسقاط الحكم الساساني الذي أصبحت بيضته تيسفون غير متعذرة على جاليروس الذي اكتفى بإضعاف الدولة الساسانية، وإملاء الشروط عليها.

---

(٥٣) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٣.

(٥٤) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٣؛ رستم، *الروم*، مج ١، ص ٥٠، حيث ذكر أن نصيبين جعلت «مركزا للعلاقات التجارية بين الإمبراطوريتين،» ولكن دون مناقشة أو ذكر لبنود المعاهدة.

ومن الناحية الاقتصادية فإن الطريق التجاري[٥٥] من سوريا إلى الخليج (الجرهاء) أصبح ضمن التبعية البيزنطية أي إن إيرادات نيقوميديا ستزداد بما تحصل عليه من مكوس على القوافل المارة بالطريق المذكور[٥٦] (انظر الخارطة رقم ٣). ومن ناحية أخرى، فإنها ـ أي المعاهدة ـ أعطت نيقوميديا المجال أو الفرصة كي تعالج مشكلاتها الداخلية، وتقوي المراكز الدفاعية ضد الانسياح البربري في منطقة حوض الدانوب الأدنى من جهة الشمال، حيث زاد التسرب الجرماني فيها.[٥٧] وأيضا فإن المعاهدة أعطت دلالة على مدى فعالية مجهودات دقلديانوس وإيجابيتها في إعادة تنظيم الجهاز الإداري والعسكري، فإن مركز الإمبراطور في نيقوميديا أعطى الامبراطورية ميزة القرب لدرء الخطر المتمثل في غارات العناصر البربرية وضغطها في الشمال من حوض الدانوب الأدنى، وفي الوقت نفسه السرعة في رد الفعل العسكري ضد الساسانيين. على أية حال فإن معاهدة ٢٩٧م أنقصت الرقعة الجغرافية للدولة الساسانية من جهة، ومن جهة أخرى أكدت هيبة البيزنطيين في منطقة أرمينية وإيبيريا وأرض الجزيرة،[٥٨] والعكس صحيح بالنسبة للدولة الساسانية.

ويتساءل الباحث ألم يتطرف دقلديانوس وقيصره في قمع المسيحيين في الإمبراطورية وتعذيبهم وقتلهم حتى أطلق المسيحيون على عهد دقلديانوس «عهد الشهداء»[٥٩] ولكن لماذا لم يفعل الشيء نفسه في أرمينية التي تغلغلت فيها الديانة المسيحية وجعلها تريدات (حاكم أرمينية المحلي) الديانة الرسمية هناك في سنة ٣٠٢م، وفي العام نفسه قام تريدات بتعيين غريغوار رئيسا أعلى لكنيسة أرمينية؟[٦٠] ربما أن دقلديانوس لم يقمع معتنقي الديانة المسيحية في أرمينية لأنه قدَّر أن معاداة الديانة المسيحية في أرمينية معاداة للأرمن، وضربها هناك يخلق ـ في الأقل ـ التنافر بين أرمينية والإمبراطورية، وتجاذبا بين أرمينية والدولة

---

(٥٥) V. Chapot, *La Frontiere de l'Euphrate* (Paris: Payout, 1907), p. 332.

(٥٦) W. Heyd, *Histoire du Commerce du Levant au moyen age* (Leipzig, 1936), vol. 1, 8-14.

(٥٧) العريني، *تاريخ أوربا*، ص ٢٩.

(٥٨) Ostrogorsky, p. 44.

(٥٩) عاشور، *أوربا*، مج١، ص ٥٢.

(٦٠) آميل، *تاريخ أرمينية*، ص ١٨.

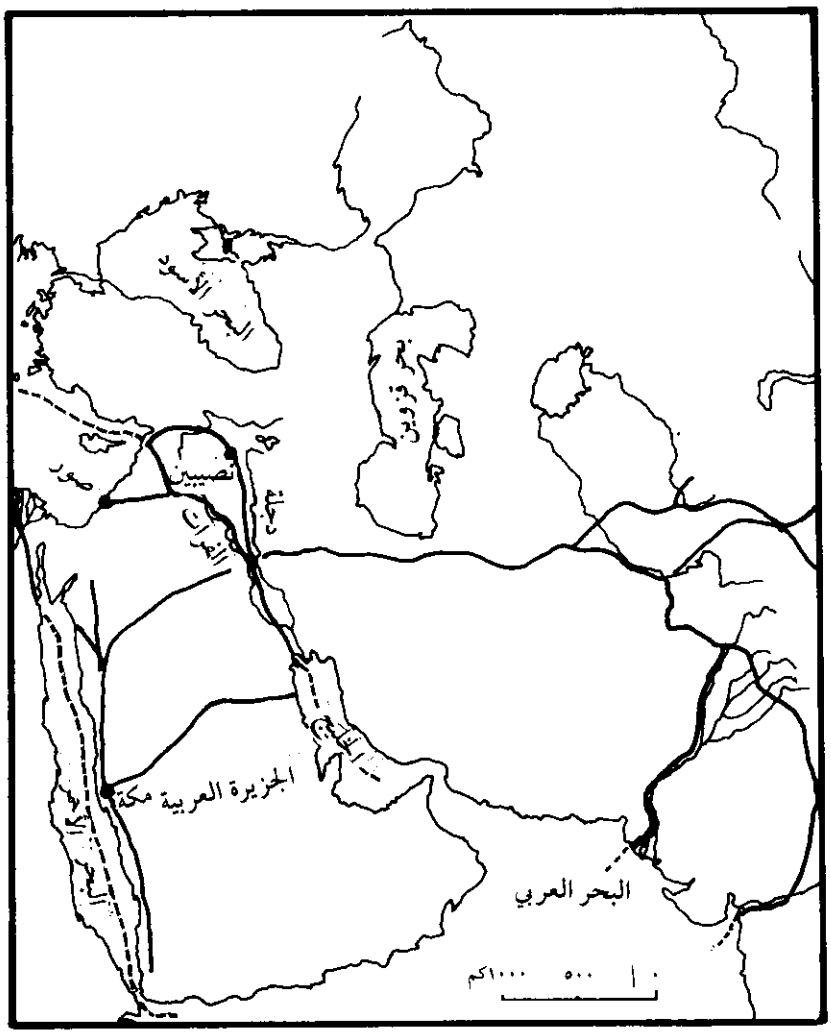

خارطة رقم ٣. توضح طرق القوافل عبر و جنوب نصيبين في القرن الرابع الميلادي.

الساسانية. وبعبارة أخرى إن محاربة أتباع الديانة المسيحية في أرمينية ليست في صالح الإمبراطورية البيزنطية.

وتأسيسا على ما سبق، وبناء عليه، فإن معاهدة سنة ٢٩٧م جعلت حدود الإمبراطورية تمتد «شرقا مرة أخرى حتى نهر دجلة، وأصبحت تيسفون غير بعيدة عن الضغط البيزنطي. كما عادت رقعة الإمبراطورية من جديد إلى ما كانت عليه سنة ١١٧م باستثناء إقليم أو إقليمين.[٦١] ومن الناحية الدينية كانت استعادة أرمينية إلى التبعية البيزنطية عاملا أساسيا وإيجابيا لا في نشر الديانة المسيحية وحسب، ولكن في تعميقها في أرمينية بالذات، وتسربها إلى إيبيريا التي ربطت بالسيادة البيزنطية حسب الاتفاقية.

صحيح أن المعاهدة أعطت الإمبراطورية امتدادا في مساحة رقعتها الجغرافية، وساعدت على ازدياد إيرادات الخزينة[٦٢] بما يجبى من الضرائب على الأراضي الزراعية والمكوس على السلع التي تمر عبر المواقع الحدودية على الطريق التجاري الرئيس الممتد من سوريا إلى القسم الشرقي من الجزيرة العربية. لكن لم يستطع الباحث نتيجة لقلة المعلومات تبيان أثر السيطرة البيزنطية على الطريق التجاري على الحالة الاقتصادية في المراكز التجارية الرئيسة في الجزيرة العربية والتي تقع على الطريق التجاري الواصل بين الخليج ومكة بصفة عامة، وعلى الجزء الشرقي من الجزيرة العربية بصفة خاصة. وربما تداول النقود البيزنطية العائدة إلى فترة الإمبراطور قنسطنطين العظيم (٣٠٥ ـ ٣٣٧م) وابنه قنسطنطينوس إذا عُثِر عليها جنبا إلى جنب مع النقد الساساني في القسم الشرقي من الجزيرة العربية، فهي نتيجة للسيطرة البيزنطية على الطريق التجاري الواصل بين سوريا والخليج لفترة الأربعين عاما التي تلت توقيع الاتفاقية.

---

(٦١) هـ. فيشر، *تاريخ أوربا العصور الوسطى*، ترجمة محمد مصطفى زيادة والباز العريني (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م)، مج١، ص٦.

(٦٢) ليس من اليسير معرفة مقدار العائد المادي إلى خزينة الدولة البيزنطية في الخمسين عاما التي تلت اتفاقية سنة ٢٩٧م. وبعبارة أخرى ليس لدينا معلومات عن مدى حجم النقص في إيرادات خزينة الدولة الساسانية نتيجة للمعاهدة.

ويرتبط بهذا أيضا دراسة أبرز العوامل والأسباب التي جعلت سريان المعاهدة فعالا مدة تقرب من نصف القرن. إن استمرار تنفيذ وفعالية معاهدة سنة ٢٩٧م لم يكن سببه قوة الإمبراطورية بعد ترك دقلديانوس للحكم سنة ٣٠٥م (حسب النظام الذي وضعه) لكن لانتياب الإمبراطورية مرحلة من التفكك نتيجة للحرب الأهلية التي عاشتها، تلك الحرب التي استمرت حوالي سبع عشرة سنة[٦٣] والتي برز أثناءها قنسطنطين الذي كان أبوه يتولى منصب أغسطس[٦٤] الغرب والذي نادت به حامية يورك إمبراطورا بعد وفاة أبيه سنة ٣٠٦م. انطلق قنسطنطين وأنصاره جنود حامية يورك من شواطىء بريطانيا صوب غاليا التي استطاع السيطرة عليها، وبعد ذلك شق طريقه إلى إيطاليا فخاض أربعة حروب متعاقبة مظفرة كان آخرها قرب جسر ملفيان حيث دحر مكسينوس، وأضحت إيطاليا[٦٥] تابعة لنفوذ قنسطنطين الذي أصدر مرسوم ميلانو سنة ٣١٣م. وكان لاعتراف قنسطنطين بالمسيحية ـ ولا ريب ـ أثره في انتشارها في الغرب وفي الشرق الذي كان يحكمه ليسينيوس الذي تمكن قنسطنطين من هزيمته وإقصائه عن السلطة في سنة ٣٢٣م وأصبحت الإمبراطورية وحدة يحكمها إمبراطور واحد هو قنسطنطين الذي قام بعملين أو إنجازين مهمين كان لهما أثرهما البعيد في تاريخ الإمبراطورية ووحدتها، وصراعها وعلاقتها مع جيرانها الذين من بينهم الدولة الساسانية.

العمل الأول كان الاعتراف بالديانة المسيحية، والآخر هو تأسيس القنسطنطينية ذات الموقع المميز الفريد، وجعلها عاصمة الدولة ومقرا للإمبراطور الأوحد. ويعد هذا تأكيدا لما لمسه وقدره وأقدم عليه سلفه دقلديانوس، وكان تأسيس القنسطنطينية حدثا له أثره، لا في التحكم في معالجة المشكلات الداخلية في الشرق، ودرء الخطر الساساني المتنامي، ومواجهة ازدياد التسرب الجرماني في جهة الحوض الأدنى للدانوب كأحد الأخطار الخارجية آنئذ وحسب، وإنما غير وجه التاريخ الأوروبي في الألف سنة التالية.[٦٦]

---

(٦٣) عاشور، *أوربا*، ص ٤٠.

(٦٤) Timothy Barnes, *Constantine and Eusoebius* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1981), p.70.

(٦٥) فيشر، *تاريخ أوربا*، ص ٧.

(٦٦) عاشور، *أوربا*، ص ٤٣؛ العريني، *تاريخ أوربا*، ص ٣٠.

أمـا السبب الآخر الذي ساعد على سريان فعالية اتفاقية سنة ٢٩٧م فهو تدهور الأحوال الداخلية في الدولة الساسانية، وضعف السلطة المركزية من سنة ٢٩٧م حتى سنة ٣٢٨م، أي من الأيام الأخيرة من سني حكم الملك الساساني نرسي وفترة حكم كل من هرمزد الثاني والملك آذر نرسي حتى نهاية العشرين عاما الأولى من عهد شابور الثاني (٣١٠ ـ ٣٧٩م). (٦٧) ولكن ما هو أثر معاهدة ٢٩٧م على العلاقة بين نرسي من جهة وطبقتي الموبدان والواسبوران من جهة أخرى؛ هل عمقت الشقة بينهما أو العكس؟ يبدو أن العلاقة بين نرسي وطبقة الموبدان كانت واهنة وعبارة الثعالبي(٦٨) أن «نرسي لا يركب إلى بيوت النار، فإذا قيل له في ذلك قال: قد شغلني خدمة الله عن خدمة النار» ذات مساس مباشر، وتوضح إن صحت، أن علاقة نرسي برجال الدين الزرادشتي، إن لم تكن عدائية، فهي متنافرة. ويتعذر على الباحث ـ لنقص عناصر ذات أهمية ـ أولا معرفة الروابط أو العلاقة بين الملك نرسي بعد توقيعه للمعاهدة وطبقتي رجال الدين الزرادشتي والنبلاء، وثانيا هل كان لهذه العلاقة أثر في عدم محاولة نرسي إعداد جيش لمحاولة التخلص من المعاهدة؟ وهل كان ترك الملك نرسي الحكم(٦٩) في سنة ٣٠١م (قبل وفاته) مرده إلى الصلة غير التكافلية بين الملك نرسي والطبقات المتنفذة؟

وبناء على ما سبق، وعلى ما ذكره فراى Frye ، من أنه «يشك في استمرارية ضعف مركز قوة طبقة النبلاء العظام بعد سيطرة نرسي على الحكم»(٧٠) يمكن أن نستنتج أن توقيع معاهدة سنة ٢٩٧م كان سببا مباشرا في زيادة قوة الطبقات المتنفذة، ونقصان هيبة السلطة التي يمثلها نرسي.

---

(٦٧) حكم بعد بهرام الثاني ابنه بهرام الثالث ولكن فترة حكمه كانت أربعة شهور. انظر: كريستنسن: *إيران*، ص٢٢١.

(٦٨) كريستنسن، *إيران*، ص ٥٠٩.

(٦٩) وليس هذا إشـارة إلى ترك نرسي للزرادشتية واعتناقه للمانوية أو المسيحية لأن هذه العبارة تقريبا أوردها الثعالبي عند ذكره للملك أردشير الأول الذي اتخذ الزرادشتية دينًا رسميًّا للدولة الساسانية، الثعالبي، غرر، ص ٤٨١. وكذلك استعمل الثعالبي هذا القول أثناء تحدثه عن بهرام بن هرمزد، ورددها عند ذكر الملك بهرام. الثعالبي، غرر، ص ٥٠٨.

(٧٠) Frye, p. 130.

خلف نرسي ابنه هرمزد الثاني (٣٠١ ـ ٣١٠م)[٧١] الذي انتهج سياسة داخلية مخالفة تمامًا لطبعه قبل تسلمه الحكم، فاللين بدلا من الغلظة جسد التقارب بينه وبين طبقتي رجال الدين والنبلاء الذين لم يعادوه، ولم يترفع عن طبقات المجتمع الأخرى فوالوه.[٧٢] وخلف هرمزد الثاني ابنه آذر نرسي الذي أبعدته عن الحكم قتلاً الطبقات المتنفذة، ربما لتضارب مصالحهم مع مصالحه، وكان ذلك في العام نفسه الذي تولى فيه السلطة (سنة ٣١٠م).

أما الصراع مع البيزنطيين خلال فترة حكم هرمزد الثاني وابنه آذر نرسي التي قابلت الفترة من حوالي سنة ٣٠٦ إلى ٣٢٣م ـ أي من حين ترك دقلديانوس الحكم إلى توحيد قنسطنطين الإمبراطورية ـ فالمراجع التي بين أيدينا لم تشر إلى تجدد الصراع بين الدولتين، لأن كلا منهما كانت لديه مشكلاته الداخلية، فالدولة البيزنطية كانت تعاني من الحرب التي خاضها قنسطنطين في غاليا، وإيطاليا من أجل توحيد الإمبراطورية. أما بالنسبة للدولة الساسانية فقد آل حكمها آنذاك إلى ملوك عجزة لم يحاولوا معالجة المشكلات الداخلية، وتقوية جيشها، والاستفادة من انشغال قنسطنطين في حروبه الأهلية التي استمرت حوالي سبع عشرة سنة (٣٠٦ ـ ٣٢٣م) للتخلص من ربقة معاهدة ٢٩٧م.

وحوالي سنة ٣١٠م نصّب شابور الثاني بن هرمزد (حكم من ٣١٠ ـ ٣٧٩م) ملكا وهو في المهد بعد وفاة أبيه، نصّبه أصحاب النفوذ من طبقتي الموبدان والواسبوران. وكانت السلطة قبل بلوغه الرشد والمقدرة والفعالية بيد أمه اسميا، ولكن تسيير عجلة الأمور في الدولة الساسانية كان بيد «وزراء أبيه وقواده ومرازبته وحاشيته يغشون بابه ويلزمون قصره ويواظبون على سد الثغور وتهذيب الأمور. وتدبير الجيوش».[٧٣] وليس م ستبعدا أن طبقتي الموبدان والواسبوران حافظتا على استمرارية الحكم لشابور خشية أن يأتي إلى الحكم ملك من غير عقب هرمزد الثاني يصعب المواءمة بين رغباتهم وسلطانه. ولا يعني هذا أن الدولة

---

(٧١) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٤.
(٧٢) الثعالبي، غرر، ص ٥٠٩.
(٧٣) الثعالبي، غرر، ص ٥١٣.

الساسانية إبان حكم الأوصياء، كانت بعيدة عن الصراع الداخلي، فإن منطقة سجستان قد انفصلت عن السلطة، والدلالة على ذلك محاولات شابور إرجاعها. وأيضا لم تكن الدولة الساسانية في مأمن من الاعتداءات الخارجية نتيجة لقوتها العسكرية، فقد هاجمتها بعض القبائل العربية، والدولة البيزنطية، وبعض قبائل الترك من أطرافها.(٧٤) واستمر أثر ذلك حتى مباشرة شابور الثاني للسلطة.

أما الظروف والعوامل ذات المساس المباشر وغير المباشر في استعدادت شابور وتنميتها فإنها غير واضحة، ربما تجسد بعض أعماله بعد مباشرته السلطة والمتمثلة في معالجته لمشكلات الدولة ببعض أفكاره التي لا يمكن أن يكون تكوينها قد حدث أثناء مباشرته تصريف الأمور.

شهدت الدولة الساسانية عقب تقليد شابور الأمور مباشرة انفراد شابور بالسلطة، وحفرت القنوات، وأقيمت الجسور والقناطر، واستحدثت قرى ودساكر.(٧٥)

لم تتحدث المراجع التي بين أيدينا عن تصادم بين شابور وأي من طبقات المجتمع الساساني، وبالذات الطبقتين المتنفذتين طبقة رجال الدين،(٧٦) وطبقة النبلاء(٧٧) للحد من نفوذهم الذي يبدو أنه استشرى عندما كانت مقاليد الأمور بيدهم لصغر سنّ شابور. وتحدثت الكتابات الساسانية والعربية عن أن شابور الثاني قام بإنزال ضربات موجعة شرسة ومتعاقبة بالقبائل العربية التي أغارت على أطراف الدولة الساسانية خلال السنوات السابقة لمباشرته السلطة، فطمّ الآبار التي كانت تردها، ونقل بعض القبائل، ووطّنها في المناطق الحدودية كحاجز بشري واق للدولة الساسانية من غارات القبائل العربية.(٧٨)

---

(٧٤) الثعالبي، غرر، ص ٥١٤.
(٧٥) الثعالبي، غرر، ص ٥٢٩.
(٧٦) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٢٤.
(٧٧) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٤.
(٧٨) جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب* (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)، مج٢، ص ٦٤٣.

وأعقب شابـور (ذو الأكتـاف)[٧٩] عمله العسكـري الردعي ضد القبائل العربية باستفزاز المسيحيين المقيمين في الدولة الساسانية الذين كانوا يتركزون في منطقة خوزستان Khūzistān وجنـديشـابـور Gundeshpūr وبيشـابـور Bishapūr وبعض ولايات الشـمال الشرقي[٨٠] واضطهادهم. وكان السبب الذي أدى إلى انتشار الديانة المسيحية في الدولة الساسانية هو العدد الكبير من الأسرى الذين أحضرهم شابور الأول من أنطاكية والمناطق التي بلغها أثناء غاراته على أراضي الإمبراطورية.

استفتـح شابـور الثـاني اضطهاده للمسيحيين بأن «كتب لأمراء إقليم الأرمن»[٨١] يأمرهم بالقبض على الأسقف سيمون وتكليفه قسرًا بالتوقيع على أمر شابور القاضي بأن يقوم سيمون بجمع ضريبة مضاعفة عن المسيحيين، «لأنهم يسكنون بلادنا، ويشاركون قيصر ـ عدونا ـ المشاعر».[٨٢] وقبل متابعة الأسباب التي دفعت به لاضطهاد المسيحيين نشير إلى نقطة تتعلق بأرمينية وتبعيتها. فقد ذكر كريستنسن بناء على ما جاء في أعمال الشهداء أن

---

(٧٩) تشابهت الرواية العربية في تفسيرها للقب «ذي الأكتاف»، فالطبري، *تاريخ الأمم*، مج٢، ص ٦٧؛ والمسعودي، *مروج الذهب*، مج١، ص٦؛ وحمزة بن الحسن الأصفهاني، *تاريخ سني ملوك الأرض*، ط٣ (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦١م)، ص٣٦. ذكروا أن اللقب «ذا الأكتاف» أطلق على شابور الثاني لأنه كان يعذب أسراه من المقاتلين العرب بخلع أكتافهم أو نقبها بأن يجمع بين كتفي الرجل بحلقة ثم يخلعها؛ وأيد هذا التفسير كريستنسن، *إيران*، ص ٣٢٥، وأضاف أن «ليست هذه أول مرة في تاريخ الساسانيين يذكر فيها هذا التعذيب الوحشي فإن كسرى الثاني حين غضب على المنجمين هددهم بخلع أكتافهم، على حين أعطى نولدكه تفسيرا آخر للقب «ذي الأكتاف،» مغزاه أن اللقب «ذا الأكتاف» لقب تمجيد وتعظيم يقصد به الدلالة على قوة شابور الثاني وتدعيمه لهيبة السلطان الساساني. وأخذ بتفسير نولدكه جواد علي، *المفصّل*، ص ٦٤٤، وذكر جيبون: «أن شابور الثاني استخلص من مخاوف العرب واعترافهم بحسن صنيعة لقب حامي الأمة» (ذو الأكتاف)، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٥٥٣. على أية حال ربما يكون تفسير الرواية العربية مقبولا، لأنه لو كان اللقب «ذو الأكتاف» تمجيديا وتشريفيا لورد في النقوش التي تحدثت عن انتصار شابور الثاني، وفي الوقت نفسه لنقش اللقب على النقود التي ضربت في عهد شابور الثاني.

(٨٠) Chapot, p. 332.

(٨١) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٥٤.

(٨٢) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٥٤.

شابور الثاني «كتب لأمراء إقليم الأرمن» آمرا إياهم بالقبض على سيمون . . . وقد يفهم من هذا أن أرمينية تابعة للدولة الساسانية حينذاك، وهذا يتعذر قبوله للسببين التاليين:

١ ـ أن منطقة أرمينية كانت ضمن تبعية الإمبراطورية منذ معاهدة سنة ٢٩٧م إلى حوالي ٣٣٧م حيث هاجمها شابور مما حدا بقنسطنطين وجيشه إلى التحرك، ولكنه توفي في سنة ٣٣٧م.

٢ ـ لو كانت أرمينية تابعة للساسانيين لما هاجمها شابور نفسه في سنة ٣٣٧م وهو ما ذكره كريستنسن وبيرنيا وغيرهما.

نعود إلى متابعة موقف شابور من النصارى، وربما كان أمر شابور بمضاعفة الضريبة، منصبا على المسيحيين في خوزستان وجنديشابور، وبعض الولايات الشمالية الشرقية من الدولة الذين تمارس الدولة الساسانية سلطتها على المناطق التي يقطنونها فعلا. على أية حال، فإن مطلب شابور بزيادة الإتاوات على المسيحيين في أرض الدولة يعد مقدمة لمراحل من التعسف والاضطهاد اتخذها شابور ضد المسيحيين المقيمين في الدولة الساسانية الذين أحس أنهم أصبحوا مصدر متاعب له بسبب ولائهم المبني على وحدة الديانة مع الدولة البيزنطية عدو الدولة الساسانية التي يدبر شابور لحربها من جهة، كما أن هذا المطلب يعد استفزازا للإمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى.

كان لزاما على شابور بعد ذلك الإعداد لمحاربة الإمبراطورية، وإقصاء نفوذها عن أرمينية، والمناطق الخمس وغيرها التي أصبحت ضمن التبعية البيزنطية منذ معاهدة سنة ٢٩٧م. وبعبارة أخرى، فإن شابور بعد أن رتب أمور الدولة الداخلية، وردع المغيرين عليها وأعاد هيبة السلطة، وأخذ يتحرش بالدولة البيزنطية، وذلك بأن زاد الضرائب على المسيحيين المقيمين في الدولة الساسانية، وبناء الحصون والقلاع على أطراف الدولة المتاخمة لمنطقة أرمينية، وفي هذا إثارة لحفيظة الإمبراطور قنسطنطين الذي اعترف بالمسيحية وناصرها، ولكن قنسطنطين العظيم لم يتخذ رد فعل إزاء الاستفزاز الساساني.

زامن الملك شابور الثاني الإمبراطور قنسطنطين الأول (توفي ٣٣٧م) في السنين الأخيرة من حياة قنسطنطين، وإذا ما قارنا بين المرتكزات الأساسية في الحكم للحاكمين فإننا

نجد الحكم المطلق، والمركزية والاستبدادية كانت دين قنسطنطين[٨٣] الأول وشابور الثاني. ويجب الإشارة إلى أن ممارسة الحكم المطلق لم تكن وليدة عهد شابور الثاني، وإنما هي المسلك والمرتكز الأساسي لسياسة الدولة الساسانية[٨٤] التي قام دستورها «قولا وفعلا، على أساس الاستبداد»[٨٥] والذي وضعه مؤسس الدولة أردشير الأول، وسار عليه شابور الأول وبهرام الثاني.

لم يعط شابور الثاني الصراع مع البيزنطيين الأولوية، لأن كلا من الجانبين كان منكبًّا على ترتيب أمور دولته فقنسطنطين كان مشغولا في تأسيس القنسطنطينية، ومعالجة المشكلة الدينية، ودعوته لعقد أول مجمع مسكوني (مجمع نيقية) سنة **٣٢٥**م الذي «تولى تقرير ما تجرى عليه الكنيسة المسيحية من عقيدة ونظام.»[٨٦] وتجدر الإشارة إلى أن شابور الثاني دعا إلى عقد مجمع زرادشتي في العام نفسه[٨٧] الذي عقد فيه مجمع نيقية، فضم ذوي الشأن من الموبدان (رجال الدين). وليس لدينا الآن من المعلومات ما يساعدنا على القول إن المجمع الزرادشتي كان لاحقا وتقليدا لمجمع نيقية. على كل حال فإن دعوة المجمع الزرادشتي إن لم تكن لمعالجة مشكلات داخلية فهي تجسيد لأفكار شابور، التي منها إحياء سياسة أردشير الأول (هيمنة السلطة الزمنية على الأكليروس الزرادشتي) واضطهاد المسيحيين المقيمين في الدولة الساسانية.

وقد يكون لزاما، قبل متابعة تطور الصراع في عهد قنسطنطين وبعده، أن نذكر أن فترة الوصاية على شابور الثاني والسنين الأولى من مباشرته السلطة التي قضاها في ردع القبائل العربية، ومعالجة المشكلات الداخلية تعد في الواقع عاملا مساعدا مباشرا أو غير مباشر في

---

(٨٣) Ostrogorksy, p. 41.

(٨٤) ذكر Frye, p. 133 أن هناك أثرا لروح التنظيمات التي قام بها دقلديانوس وقنسطنطين في تنظيمات الثاني ولكن لا نعرف إلى أي مدى.

(٨٥) كريستنسن، *إيران*، ص **٢٤٩**.

(٨٦) الباز العريني، *الدولة البيزنطية* (بيروت: دار النهضة العربية، **١٩٨٢**م)، ص **٢٢**.

(٨٧) رستم، *الروم*، ص **٧٥**.

تهيئة المناخ الموائم للإمبراطور قنسطنطين كي يقضي على خصومه ومنافسيه، ويتمكن من توحيد الإمبراطورية في سنة ٣٢٣م، ويعترف بالديانة المسيحية، ويؤسس القنسطنطينية ويجعلها العاصمة بدلا من روما؛ وكان لهذا أثره في استمرار الصراع بين الدولتين وتطوره في السنين التالية.

في سنة ٣٣٧م هاجم شابور أرمينية، وحجته عدم استقرار أحوالها الداخلية، فبادر قنسطنطين بتجهيز جيش تولى قيادته بنفسه للدفاع عنها، ولكن الإمبراطور توفي أثناء توجهه صوبها في سنة ٣٣٧م،(٨٨) أي العام عينه الذي بدأ فيه الهجوم الساساني.

قسّم قنسطنطين الإمبراطورية بين أبنائه الثلاثة مجتمعين، وهم قنسطنطين الثاني وهو الأكبر، وقنسطنطينوس وهو الأوسط؛ وقنسطانز وهو الأصغر. ولم تكن الرابطة بين الإخوة تكافلية بل تنافرية، والدلالة على هذا أنه لم يمض حوالي ثلاثة أعوام على وفاة قنسطنطين إلا ونشب الصراع بين قنسطانز وقنسطنطين الثاني سنة ٣٤٠م، واستطاع الأول إقصاء الثاني في معركة «أكويليا».(٨٩) وبطرد قنسطنطين الثاني من السلطة أضحت الإمبراطورية قسمين، قسم غربي يحكمه قنسطانز الذي تعصب لمذهب مجمع نيقية الذي كان سائدا في الغرب، على حين أخذ قنسطنطينوس الذي كان يحكم القسم الشرقي بالمذهب الأريوسي المنتشر في الشرق، وبات الدفاع عن الشرق ضمن مسؤوليته. وفي سنة ٣٤٣م عقد مجمع ديني في مدينة ساردیكا Sardica (صوفيا) يهدف لرأب الصدع بين الغرب والشرق، ولكنه أخفق.(٩٠) وأعقب هذه النتيجة ظهور صراع مذهبي آخر هو انشقاق الأريوسية نفسها إلى فئتين: إحداهما الأريوسية التي لا تؤيد مجمع نيقية ويناصرها قنسطنطينوس، والأخرى أزيوسية، وتخالف الأولى في موقفها المتطرف من مجمع نيقية؛ وطبيعي أن أصبحت الفئة التي يناصرها الإمبراطور هي صاحبة النفوذ.

---

(٨٨) Eusebius of Caesarea (A.D. 265-340), *Life of Constantine*, Book, X, 8 ed. and trans. J.L. Creed (Oxford: Blackwell, 1984).

(٨٩) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٥٥١.

(٩٠) العريني، *الدولة البيزنطية*، ص ٣٤.

وقد أدى هذا إلى تعميق الشقة بين الشرق والغرب، وفي الوقت نفسه زاد من الاضطراب والقلق الديني الذي اصطبغت به هذه الفترة، وكان من نتائجه فيما يتعلق بالصراع مع الساسانيين أن أمست الإمبراطورية في الشرق عاجزة عن صد الهجمات المستمرة التي قادها شابور «ذو الأكتاف» على أرمينية حيث تمكن من السيطرة عليها، وحقق انتصارا على سنجار ونصيبين اللتين قاومتا الحصار الساساني، لكنهما استسلمتا في آخر الأمر، وكان ذلك في سنة ٣٥٠م. وكذلك من نتائج الاضطراب الديني أن انتشار المسيحية قد تهدد في الشرق. وفي العام نفسه (أي ٣٥٠م) تمكن ماجنتيوس من إقصاء قنسطانز عن الحكم، وأعطى طرد قنسطانز[٩١] الشرعية لقنسطنطينوس بضمّ القسم الغربي وكان له ذلك بعد هزيمته لماجنتيوس سنة ٣٥١م في «مورسا»،[٩٢] حيث أصبح قنسطنطينوس الإمبراطور الأوحد[٩٣] للإمبراطورية بشقيها، فقام بمحاربة الوثنية باضطهاد أتباعها، وإغلاق مؤسساتها، وإزالة آخر أثر لها إبان زيارته لروما. أما الديانة المسيحية، فإنه عقد مجمعي سرميوم ورميني الدينيين سنة ٣٥٩م اللذين أقرا المذهب الأريوسي مذهبا رسميا للدولة.[٩٤]

أما الدولة الساسانية فإنها لم تكن خلوا من المشكلات بعد إخضاع نصيبين سنة ٣٥٠م، فقد اضطر شابور الثاني إلى إيقاف الهجوم، والتوجه صوب حدود الدولة الشمالية والشرقية لصّد الغارات التي شنها الكيونيتيون (الهون)[٩٥] وبعض الشعوب المجاورة لهم. كما قام شابور الثاني بإرجاع منطقة سجستان إلى حظيرة الدولة، تلك المنطقة التي يبدو أنها خرجت عن النفوذ الساساني في السنين الأولى من حكم شابور[٩٦] عندما كان طفلا. واستغرقت هذه الحروب الردعية حوالي ستة أعوام حيث حقق شابور انتصارا على الكيونيتين والألبان ونصب جروميتاس ملكا على الكيونيت. وقد شارك جروميتاس وجنوده وكذلك

---

(٩١) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٥٥٣.

(٩٢) Vasiliev, *History of the Byzantine Empire* (Wisconsin, Wisconsin Press, 1976), vol. 1, p. 67.

(٩٣) العريني، *الدولة البيزنطية*، ص ٣٤.

(٩٤) العريني، *الدولة البيزنطية*، ص ٣٤.

(٩٥) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٦، وأطلق بيرنيا على الكيونيت اسم الهون، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٦.

(٩٦) أميل، *تاريخ أرمينية*، ص ٢٨.

رئيس الألبان وأعوانه شابور حروبه التالية ضدّ البيزنطيين،[٩٧] وكان لمشاركتهم أثر في فعالية القتال. وتمكن شابور أيضا من السيطرة على الساجيين (السجستانيين)،[٩٨] والاستعانة بهم في حروبه ضد البيزنطيين.

هذا ما حققه شابور من مكاسب أثناء هذه الفترة على الحدود الشمالية للدولة، إلا أنه خسر تبعية أرمينية حيث انتقلت تبعيتها (ودون حرب مرة أخرى) من فلك «رفيق النجوم، وأخي الشمس» (شـابـور)[٩٩] إلى مدار «المظفر في الأرض والبحر والعظيم دائما» (قنسطنطينوس)[١٠٠] وكان ذلك بتأثير من قنسطنطينوس الذي استفاد من انشغال شابور في حروبه الداخلية ضد الكيونيت وميل أرشك الثاني (٣٥١ ـ ٣٦٧م) حاكم أرمينية الذي كان مسيحي الديانة أشكاني[١٠١] الأصل.

أمـا عن الموقف الساساني إزاء سيطرة الإمبراطورية البيزنطية على أرمينية فلم تقم الدولة الساسانية برد فعل عسكري لاسترداد ما انسلخ من سيادتها، ولكن دخلت الدولتان في مفـاوضـات قام بالدعوة لها كل من «الاستراتيجوس» موسينيانوس الذي مثل الجانب البيزنطي والمرزبان «تهم ـ شابور»[١٠٢] عن الجانب الساساني، وكان مقر المفاوضات مدينة

(٩٧) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٣٠.

(٩٨) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٦.

(٩٩) من ألقاب شابور الرسمية التي أطلقها شابور الثاني على نفسه والتي خاطب بها عدوه الإمبراطور قنسطنطينوس في سنة ٣٥٦م. ولكن لم يرد أي من هذه الألقاب على النقد الساساني.

(١٠٠) لقب لقنسطنطينوس جاء في الرد على الرسالة التي بعث بها شابور في سنة ٣٥٦ قبل تجدد الصراع بين الطرفين في سنة ٣٥٩م. انظر: كريستنسن، *إيران*، ص ٢٥٤. هذا ولم يضرب أي من هذه الألقاب على النقود البيزنطية المسكوكة في عهد قنسطنطينوس. راجع كلا من: W. Wroth, *Catalogue of the Imperial Byzantine Coins in the British Museum* (London: I.B.M., 1980); W.H. Valentine, *Sasanian Coins* (London: I.B.M., 1921), pp. 157-85.

(١٠١) رستم، *الروم*، ص ٧٦.

(١٠٢) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٦. ويذكر أن موسنياس كان قائد الحرس الإمبراطوري. المرزبان ينحدر من طبقة النبلاء وعادة يكلفه الملك الساساني بالمهام الرسمية أو يسند إليه ولاية ثغر من الثغور.

أنطاكية من أجل عقد صلح دائم بين الدولتين، وتبودلت الرسائل، وحمل المرزبان رسالة مرفقة بالهدايا إلى الإمبراطور قنسطنطينوس في سنة ٣٥٦م يذكر فيها (أي شابور) أن أرمينية تقع ضمن حدود الدولة الساسانية من عهد آباء شابور الثاني «وأن عليه (أي الملك شابور) أن يستعيد أرمينية وبلاد الجزيرة اللتين أخذتا قسرا من جده (نرسي). . . وإذا عاد السفراء. . . من غير أن يظفروا بشيء فإن الملك. . . سيسير بكل قواه لمحاربة الإمبراطور.» وكان جواب الإمبراطور قنسطنطينوس الرفض المقترن باتهام شابور الثاني بالجشع المتزايد في ضمِّ الأرضين وأضاف «. . . إذا كان الرومان قد اضطربوا في بعض المعارك فإن النتيجة النهائية للحرب لم تكن تدور عليهم.»[١٠٣]

وفي سنة ٣٥٩م قام الساسانيون الذين استفادوا من فترة السلم أثناء فترة المفاوضات التي استغرقت حوالي ثلاثة أعوام (٣٥٦ ـ ٣٥٩م) بتنمية قوتهم العسكرية، ومهاجمة آمد (ديار بكر) التي أخرت، مقاومة حاميتها وتضحية أهليها، سقوطها، لكن لم تمنعه، وتلا إخضاع آمد سقوط سنجار، وتعذر على قنسطنطينوس المساعدة في الدفاع عن آمد في سنة ٣٥٩م، لأنه عقد في هذا العام مجمعي سرميوم ورميني وأضحى المذهب الأريوسي الذي عليه قنسطنطينوس هو مذهب الدولة الرسمي.[١٠٤]

وفي العام التالي للاجتياح الساساني لآمد وسنجار، أي في سنة ٣٦٠م، توجه الإمبراطور على رأس الجيش البيزنطي صوب منطقة آمد وسنجار لمواجهة الزحف الساساني. ولم يثن من استمرار الجيش البيزنطي وإمبراطوره نبأ مناداة الجيش في بلاد الغال بقائده، هناك جوليان إمبراطورا، وهو ابن عم قنسطنطينوس وزوج ابنته والذي رفض إرسال مدد والمشاركة للجيش البيزنطي الذي واصل الزحف تلقاء آمد. ولكن موت قنسطنطينوس الفجائي قرب طرسوس في سنة ٣٦١م أوقف زحف المسيرة العسكرية البيزنطية إلى حين.[١٠٥]

---

(١٠٣) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٦.

(١٠٤) Sozomenius Hermias, *Ecclesiastica Historia,* ed. R. Hussy (Oxonii, 1860), vol. 5, pp. 702-3.

(١٠٥) رستم، *الروم*، ص ٨٠؛ جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٩.

أوصى قنسطنطينوس أثناء مرضه بالحكم لجوليان ابن عمه وزوج ابنته الذي جدّ في السفر من بلاد الغال إلى القنسطنطينية عند علمه بوفاة الإمبراطور، والإيصاء له بالحكم، تصحبه قوة عسكرية من خيرة المقاتلين، وكان جوليان قائدا وجنديا وفيلسوفا معا، وبادر عند وصوله القنسطنطينية بإبعاد مستشاري قنسطنطينوس وأقربائه، وأردف ذلك بإجراءات لإعادة تنظيم الجهاز الحكومي. وبعبارة أخرى بادر الإمبراطور الجديد الذي نبذ المسيحية واعتنق الوثنية بصرف جهوده نحو ثلاثة أهداف رئيسة: ١ ـ المناداة بحرية العبادة[١٠٦] وإعادة حقوق وممتلكات الوثنية[١٠٧] التي صودرت إبان حكم قنسطنطينوس تمهيدا لبعثها، ٢ ـ تنظيم جهاز الإمبراطورية، ٣ ـ إعداد جيش قوي يمكّن الإمبراطور من تحقيق أهدافه ودرء الخطر عن الإمبراطورية.

قام الإمبراطور باستدعاء الأساقفة الذين نفوا في عهد سلفه، وكان يهدف إلى أن الأساقفة بعد عودتهم سيثيرون النزاع الديني، وفي هذا إضعاف لمناوئيه في تحقيق هدفه، وهو جعل الوثنية «ديانة المواطنة الطيبة[١٠٨] والحقيقية.»

وفي الواقع أن النزاعات والمطاحنات المذهبية وتسويد المذهب الأريوسي الذي اعتنقه قنسطنطينوس ونادت به مقررات مجمعي سرميوم ورميني خلقت رد فعل في الشعور ضد الأريوسية الذي يعد عاملا مساعدا أو تمهيدا لجوليان كي يرسي قواعد إحياء الوثنية.[١٠٩]

---

(١٠٦) G. Downey, *Julian and Justinian and the Unity of the Faith and Culture,* XXVIII (Oxford: Blackwell, 1959), pp. 339-49.

(١٠٧) Downey.

(١٠٨) C. Cochrane, *Christianity and Classical Culture,* 2nd ed. (Oxford: Blackwell, 1944), p. 284. قائل هذه العبارة هو:

(١٠٩) تذكر الدراسات أن سنوات حكم جوليان تمثل رد فعل طبيعي لا مناص منه نتيجة للتطاحن والنزاع الديني والحروب الأهلية أثناء فترة حكم أسرة قنسطنطين الكبير. لتفاصيل أكثر انظر: Hussey, "Byzantium and its Neighbours," *Cambridge Medieval History* (Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1979), vol. 3 (1), p. 318.

وعلى كل حال فإن الإمبراطور بدأ تنفيذ أهدافه في القنسطنطينية إلا أنه لم يتم تحقيقها إلا عندما ذهب إلى[١١٠] أنطاكية في صيف سنة ٣٦٢م. ولا يهمنا الآن مناقشة الدوافع التي حدت بجوليان إلى اتخاذ أنطاكية مقرا لتحقيق أهدافه جميعا التي منها التجهيز العسكري لضرب الساسانيين، واستعادة آمد وسنجار والمحافظة على أرمينية، وإعادة هيبة الإمبراطورية.

فصرف جوليان ومعاونوه جهدا مميزا للإعداد الحربي من حيث تدريب الجند والإنفاق بسخاء. ولتهيئة المناخ أو الجو العسكري الموائم لحربه ضد شابور ذي الأكتاف، قام جوليان، وهو القائد العسكري قبل أن يكون إمبراطورا، بالتفاوض مع العرب في سوريا الذين يقطنون المناطق التي تمر بها طرق الإمداد كي يحموا خطوط التموين البيزنطي، ويمنعوا الساسانيين من الإغارة على هذه الطرق، وقطع الميرة عن الجيش البيزنطي. ويبدو أن جوليان اختلف مع هؤلاء العرب على الجعل الذي طلبوه فأخذهم بالتهديد والوعيد «ولهذا اختلف العرب معه في الباطن.»[١١١] وسيكون لهذا تأثير في التجارب بين القوتين، وكذلك حالف جوليان الملك الأرمني أرشك الثاني[١١٢] على الرغم من أنه (أي أرشك) مسيحي الديانة كما أن جوليان تعاطف مع اليهود في الإمبراطورية كي يعاونوه في الدولة الساسانية.[١١٣]

ويبدو أن شابور الثاني كان على علم بتصميم جوليان على محاربة الدولة الساسانية ومتابعا للإعداد الذي كان دقيقا وغير اعتيادي،[١١٤] فأوفد سفارة إلى جوليان يحاول ثنيه عن

---

(١١٠) جلا نفيل داوني، *أنطاكية القديمة*، ترجمة إبراهيم نصحي (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٧م)، ص ٢١٠.

(١١١) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٧.

(١١٢) Ammianus Marcellinus, *Res Gestae Libri qui supersunt* (Berolini: Fr. Eyysenhardt, 1871), 31, p. 380.

(١١٣) رستم، *الروم*، ص ٨٤.

(١١٤) داوني، *أنطاكية القديمة*، ص ٢٢١.

عزمه، وعقد صلح بين الدولتين، ولكن جوليان رفض بقسوة ما عرض عليه.[١١٥] ولعل رفض جوليان للمبادرة الساسانية ربما كان مرجعه الثقة بإمكاناته، وقوة جيشه التي أدت إلى الإفراط في التفاؤل بأنه سينتصر على الساسانيين وسيقصي شابور «ذا الأكتاف» عن الحكم، وينصّب بدلا منه الأمير الساساني هرمزد بن هرمزد الثاني الذي هرب إلى القنسطنطينية في حوالي سنة ٣٢٤م عندما قام «الواسبوران» بعزل أخيه آذر نرسي وسمل عيني أخيه الثاني وسجنه.[١١٦] أما فيما يتعلق بشابور الثاني، فعندما أخفق في عقد صلح مع جوليان تأكد من عزيمة البيزنطيين على الحرب فأخذ الإعداد للمجابهة، والحيطة في الوقت نفسه، وليس لدينا معلومات تجعلنا نرفض القول بأن عرض شابور الثاني الصلح كان مرده أمرا سياسيا.

وقد ظهرت أمور قبل تحرك الجيش البيزنطي من أنطاكية تمثلت في العصيان الفردي في الجيش كالامتناع عن تقديم القرابين للآلهة، ورفض إزالة الشعارات المسيحية من الأعلام، ورفض مشاركة الإمبراطور الوثني الحرب. فعامل جوليان هؤلاء معاملة قاسية، وأمر بقتلهم، وقد سبق هذا العصيان تذمر قام به الأهلون المسيحيون، فأحرقوا هيكل «أبولون»، والآلهة الوثنية، كرد فعل لامتهان جوليان حرمة قبر القديس «بابيلاس» وإقفال كاتدرائية أنطاكية.[١١٧] وعشية زحف الجيش البيزنطي شح القوت والزاد من أنطاكية، ربما كان لتوفيره للجيش مما زاد في تذمر المواطنين هنالك، وأردف جوليان ذلك كله بأن عين على أنطاكية حاكما وثنيا فظًا.[١١٨]

وزحف جوليان بجيش ضخم قوي العتاد والعدة لكنه ضعيف الألفة بين أفراده، أي تنعدم فيه وحدة الصف لاختلاف العقيدة، وربما تجمع للجيش وحدة هدف هي الكره

---

(١١٥) داوني، *أنطاكية القديمة*، ص ٢٢٠، حيث ذكر جلا نفيل أن الملك شابور بعث بكتاب إلى الإمبراطور جوليان يطلب فيه الاجتماع معا لتسوية الخلافات.

(١١٦) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٢٧.

(١١٧) داوني، *أنطاكية القديمة*، ص ٢٢١.

(١١٨) داوني، *أنطاكية القديمة*، ص ٢٢٢.

لشابور الثاني الزرادشتي الذي يضطهد المسيحيين في بلاده ويعدّهم «العدو المواطن.»[١١٩] وفيما يتعلق بالجيش البيزنطي الزاحف، فقد أورد كريستنسن أن «جيوش الرومان وحلفائهم تقدمت نحو المدائن.»[١٢٠] ولم يوضح من هم الحلفاء، ولم يذكر المصدر. ومن المؤكد أن كريستنسن لم يعن أرشك الثاني حاكم أرمينية المسيحي الذي تحالف معه الإمبراطور جوليان، لأن أرشك ومقاتليه من منطقة أرمينية لم ينضموا إلى جيش جوليان إبان هجومه على الجيش الساساني شرق دجلة.

هذه كانت حالة الجيش البيزنطي الذي عبر نهر الفرات بواسطة جسر من القوارب، وقد تباينت الروايتان البيزنطية والساسانية في تصوير تفاصيل المعركة، ولكنهما اتفقتا في ذكر نهايتها تقريبا، فالمؤرخ المعروف أميانوس[١٢١] مارسيلينوس ذكر أن الجيش البيزنطي بقيادة الإمبراطور جوليان عبر الفرات على جسر من القوارب. وبعد تأكد جوليان من عدم تعرض جيشه لهجوم ساساني عندما وطىء أرض ما بين النهرين، سيّر كتيبة، وأمّر عليها قائده بروكوبيوس، ووجهها إلى الشرق كي تلتقي بالمقاتلين الأرمن بقيادة أرشك الثالث، ويتجها معا جنوبا للانضمام إلى جوليان وجيشه ومحاصرة العاصمة الساسانية (تيسفون) جميعا. عبر جوليان (عقب بعثه بسرية بروكوبيوس) نهر دجلة[١٢٢] ثم سار نحو الجنوب فالشرق ميمما تلقاء تيسفون ولكنه اصطدم بالجيش الساساني قرب سلوقية، وهناك حقق البيزنطيون نصرا عزيزا على الساسانيين وقائدهم الملك شابور، ولم يفر الساسانيون إلى[١٢٣] عاصمتهم للاحتماء بها. أما الجيش البيزنطي الذي لم يتتبع فلول الساسانيين، فإنه واصل الزحف إلى عاصمتهم وحاصرها، ولكنه لم يستطع دخولها لقوة مراكز الدفاع عنها،[١٢٤] وعدم وصول

---

(١١٩) صاحب هذه العبارة هو كريستنسن، *إيران*، ص ٢٣٧.

(١٢٠) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٣٧.

(١٢١) Marcellinus, p. 412.

(١٢٢) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٨٦؛ بيرنا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٨.

(١٢٣) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٨؛ رستم، *الروم*، ص٨٥.

(١٢٤) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٧. وهناك خلاف حول جنسية رامي السهم الذي أودى بحياة جوليان، فالساسانيون يذكرون أنه جندي ساساني. بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٨، على حين =

الجيش الأرمني لمساعدته. وأثناء ذلك هاجم الساسانيون البيزنطيين، وضيقوا عليهم مما اضطر جوليان إلى النزول إلى أرض المعركة، ومباشرة القتال في طقس حار، مما جعله يخلع درعه فأصابه أثناء ذلك سهم لا يعرف مصدره أدى إلى وفاته، فقد ذكر أميانوس مارسيلينوس الذي رافق جوليان في الحملة أن رامي السهم كان عربيا.(١٢٥) أما الرواية الساسانية فقد أوردها بيرنيا قائلا إن جوليان استطاع عبور نهر الفرات، واستولى بعد معبره على بعض من مدن منطقة ما بين النهرين، وتوجه إلى ميناء فيروز سابور وتقدمت السفن الرومية وعددها ألف ومائة سفينة من الفرات إلى دجلة عن طريق قناة رئيسة(١٢٦) عبر خلالها الجيش البيزنطي إلى الشاطىء الشمالي لنهر دجلة حيث دارت المعركة بين الجيشين، وحاولت حامية العاصمة الساسانية المدعمة بالفيلة العرقلة لكن جوليان تفاداها. وزحف الجيش البيزنطي الذي تمكن من السيطرة على أرض على الطرف الأيسر لنهر دجلة، ودحر الساسانيين، وأجبرهم على الارتداد إلى تيسفون كَلْمىٰ. وغنم البيزنطيون كثيرا من العدة والعتاد، ولكنهم لم يستطيعوا حصار تيسفون لحصانتها. وأمر جوليان بحرق السفن التي عبر عليها جيشه، ثم انسحب إلى منطقة كردستان حيث تعقبهم الساسانيون، وهاجموهم من الأمام والخلف، فاضطرب البيزنطيون ثم زلزلوا نتيجة للهجوم، ونقص المؤن، لسيطرة الساسانيين على طرق التموين وعدم حماية العرب لها،(١٢٧) على التوالي، فهبط الإمبراطور جوليان إلى الميدان، وأخذ يدير المعركة، ورماه أحد الجند الساسانيين بحربة فقتله.(١٢٨)

= يذكر رستم مع الاحتمال أن رامي السهم كان فارسا مسيحيا من فرسان جوليان، *الروم*، ص ٨٥.

(١٢٥) نينا بيغو ليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي*، ترجمة صلاح الدين هاشم (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠١هـ)، ص٢٣.

(١٢٦) Marcellinus, p. 460.

(١٢٧) ومن الأخطاء التي ارتكبها جوليان على حدّ تعبير بيرنيا أنه لم يدفع للعرب ما طلبوه من ذهب، *تاريخ إيران*، ص ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(١٢٨) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٨.

قتل جوليان[١٢٩] ولم يرشح أحدًا يخلفه، وترتب على هلاكه خلو مركز الإمبراطور ـ وقد شابه جوليان سلفه قنسطنطينوس في عدم وجود وريث للإمبراطور ـ بعد موته، مما خلق الارتباك[١٣٠] بين صفوف الجيش وحدا بقيادته إلى السعي لإيجاد الوسيلة لإنقاذ الجيش من محنته، وطرحت عدة أفكار، منها أن على القادة التصرف كما لو أن الإمبراطور غائب[١٣١] ويسحب الجيش إلى حدود الإمبراطورية، وحينئذ سيختار الإمبراطور الشرعي، ولكن هذه المداولات قطعت بأصوات هاتفة جوفيان[١٣٢] الإمبراطور والأغسطس، وسرعان ما سرى ذلك الهتاف بين صفوف الجيش، فأجريت للتتويج المراسم التقليدية، وتوج جوفيان إمبراطورا، فبادر بجمع «القوات مبتعدا عن الحدود الفارسية.» وبادر شابور عند علمه[١٣٣] بمقتل جوليان إلى تكثيف الهجمات، والتضييق على الجيش البيزنطي بتعزيز المقاتلين الساسانيين بمفرزات معروفة بتميزها عتادا وقادة لمنع تجمع الجيش البيزنطي الذي صمد وبذل الكثير من التضحيات التي مكنته من السيطرة على المعركة، وإرباك الجيش الساساني، وزحزحته عن مواقفه. فهل كان هذا الانتصار المؤقت ضربا من ضروب المقاومة اليائسة؟ ربما يتضمن التالي الرد على الاستفسار.

حاول البيزنطيون الانسحاب، ولكن الساسانيين لم يمكنوهم من عبور دجلة، فداهموهم نضحًا بالسهام مع التركيز على المعسكر الذي فيه جوفيان. وكان لشدة الحر في

---

(١٢٩) وذكر الطبري أن لليانوس (اسم جوليان) استولى على تيسفون «وظفر ببيوت أموال شابور وخزائنه فيها فكتب سابور إلى الآفاق من جنوده» فقدموا عليه وقادتهم فحارب لليانوس واستنقد منه العاصمة. الطبري، *تاريخ الأمم*، مج٢، ص٦١. ويجب الإشارة إلى أن رواية الطبري لم يذكرها أميانوس الذي رافق الحملة أو المؤلفات الفارسية المنشورة.

(١٣٠) إن الأيام التي أعقبت مقتل جوليان كانت محنة عصيبة لم تمر الإمبراطورية بمثلها منذ الثمانين سنة الماضية عند مجيء دقلديانوس للسلطة. راجع: جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، مج٢، ص ٧٧.

(١٣١) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، مج٢، ص ٧٧.

(١٣٢) ورد اسم جوفيان (يوسانوس) عند الطبري، *تاريخ الأمم*، ص ١.

(١٣٣) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٨٠. وذكر أن أحد الجنود الرومان الهاربين هو الذي أعلم شابور بمقتل جوليان.

شهر[١٣٤] يوليو أثر على البيزنطيين، وزاد من حرج الجيش البيزنطي وصعوبة حالته أن المئونة كانت على وشك النفاد، والأمل في الإمداد مفقود، لسيطرة الساسانيين والعرب[١٣٥] على طرق التموين. وقد انعكس هذا على روح المقاومة لدى الجنود البيزنطيين الذين طلبوا من إمبراطورهم السماح لهم بمغامرة عبور نهر دجلة سباحة فرارا من الواقع القاسي الذي يحسون به، ولكن جوفيان ومستشاريه لم يوافقوا على المطلب. لأن السماح بالعبور سباحة (على اعتبار أن الجميع يجيد السباحة) أحد خيارين، وربما الأصعب، لجيش محاصر منهك يقاسي آلام الجوع. وبعبارة أخرى فإن رغبة المقاتلين البيزنطيين في الفرار سباحة كانت رغبة من لا أمل له.

وافق جوفيان بعد الاستشارة على العرض الساساني للسلام مضطرا وقد كان رد الفعل الارتياح لدى الجنود.[١٣٦] ولا ندري لو كان جوفيان قد طلب التفاوض مع شابور فور تسلمه السلطة يبرهن على نفاذ بصيرة وحسن تقدير من جانبه؟

على أية حال لم تنجز المفاوضات بين الجانبين إلا بعد مرور أربعة أيام من بدئها، وكان ذلك مقصودا من شابور، ليتأكد من أن الأيام التي استغرقتها المفاوضات كفيلة في تعميق روح اليأس ونفاذ الميرة.[١٣٧] فرضخ جوفيان للشروط المملاة في سنة **٣٦٣م** والتي أضحت بموجبها نصيبين ذات الموقع المميز تابعة للساسانيين، واستعاد شابور الثاني الولايات الخمس التي انتقلت تبعيتها من النفوذ الساساني إلى السيطرة البيزنطية سنة **٢٩٧م** في عهد الملك نرسي جد شابور الثاني. وسلخت مدينة سنجار، وقلعة المغاربة[١٣٨] ذات

(١٣٤) ييغوليفسكيا، *العرب*، ص ٥٢.

(١٣٥) فيما يتعلق بالدور الذي قام به العرب من جهة ومن جهة ثانية ما الدوافع لما قام به العرب؟ هل لأن جوليان لم يدفع لهم ما طلبوه من جعل وردهم ردا قاسيا؟ هل نتيجة لتحريض الساسانيين؟ أم أن الدافع كان مبعثه الرغبة في الغنم. للإجابة عن هذا انظر: ليفسكيا، *العرب*، ص٥٢؛ علي، *المفصّل*، ص ص ٦٤٢ ـ ٦٤٤.

(١٣٦) Marcellinus, p. 415.

(١٣٧) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٨٣.

(١٣٨) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٩١.

الموقع العسكري المهم من حظيرة الإمبراطورية البيزنطية. وبموجب معاهدة سنة ٣٦٣م أصبح عموم منطقة أرمينية جزءا من الدولة الساسانية،[١٣٩] وختم ذلك بتوقيع اتفاق صلح بين الدولتين مدته ثلاثون عاما، وأخذت المواثيق على احترام المعاهدة وتنفيذها وأضاف كريستنسن أن «الإقليمين القوزيين ايبيريا (جورجيا) والباني أصبحا تابعين للدولة الساسانية»[١٤٠] (خارطة رقم ٣). وأورد جيبون أن الطرفين «تبادلا رهائن تتألف من شخصيات رفيعة ضمانًا لتنفيذ الشروط،»[١٤١] ولم يورد جيبون مصدر هذه الرواية التي يجب التحرز من الأخذ بها، لأن المراجع الساسانية والبيزنطية التي أوردت الاتفاقية لم تشر إليها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المنتصر عادة هو الذي يأخذ الرهائن من المهزوم لضمان تنفيذ الشروط، أما أن يسلم الساسانيون المنتصرون رهائن للبيزنطيين المهزومين فهذا غير مألوف.

بدراسة الروايتين البيزنطية والساسانية يتضح التباين بينهما في تتبع انتقال الجيش البيزنطي، وسير المعارك قبل مقتل الإمبراطور. والرواية البيزنطية ربما تكون أقرب إلى الواقعية (لأن مصدرها اميانوس مارسيلينوس الذي رافق البيزنطيين) من الرواية الساسانية التي تناقضت عندما ذكرت أن الجيش البيزنطي نقل من الفرات إلى دجلة عبر ممر مائي رئيس يصل بين النهرين، في الوقت نفسه الذي ذكرت فيه أن البيزنطيين استولوا على بعض المدن في منطقة ما بين النهرين والتي كان منها مدينة فيروز سابور، فهل كانت المدن التي سيطر عليها الساسانيون تقع على ضفتي القناة الصناعية ـ التي وسعت ألف ومائة سفينة ـ التي كانت تصل بين نهري دجلة والفرات؟ ومتى حفر هذا الممر المائي؟

أُحفِر هذا الممر المذكور في عهد الدولة الإشكانية[١٤٢] أم في سني حكم الملوك الساسانيين الذين حكموا قبل سنة ٣٦٣م وهو العام الذي قتل فيه جوليان؟

---

(١٣٩) بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ٢٣٩.

(١٤٠) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٨.

(١٤١) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٨٤.

(١٤٢) حكم الإشكانيون من سنة ٢٥٦ ق.م. إلى سنة ٢٢٤م. انظر: بيرنيا، *تاريخ إيران*، ص ص ٣٦٤، ٣٦٨.

لم تتحدث المراجع التي بين أيدينا عن أن أحد الملوك الساسانيين السابقين لحكم شابور الثاني، أو أن شابور نفسه، قام بحفر (واستخدام) قناة رئيسة تستوعب مخور ألف سفينة (بعد انتصاره) تصل بين نهري الفرات ودجلة. وكذلك فإن النقوش التي تحدثت كتاباتها عن الملوك الساسانيين وإنجازاتهم وانتصاراتهم على البيزنطيين وغيرهم مثل نقش «بيكولي» و«رجب» و«رستم،»[١٤٣] وأيضا الكتابات البهلوية الساسانية في «برسو بوليس،»[١٤٤] وكذلك الروايات الساسانية التي بقيت في الكتب العربية مثل كتاب *تاريخ الأمم والملوك* للطبري، وكتاب *غرر السير* للثعالبي، وسني *ملوك الأرض* لحمزة الأصفهاني، وكتاب *سير ملوك العجم* أو *سير الملوك* الذي ترجمه إلى العربية ابن المقفع، لم تشر إلى أن أيًّا من الملوك الساسانيين أمر بحفر أو تطهير قناة رئيسة تربط بين نهر دجلة والفرات. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ليس بعيدا عن الصواب القول إن إنجازًا مهمًا مثل حفر قناة تربط بين النهرين لو وجد وكان صالحا للاستعمال في عهد شابور الثاني لأشارت إليه المصادر التي ذكرت لنا إنشاء جسر على نهر دجلة أمر به شابور الثاني.[١٤٥] وأخيرا لم يرد في المصورات الجغرافية التي تتبعت الطريق التجاري القادم من الصين إلى دمشق عبر منطقة بين النهرين والمعروف بـ«طريق الحرير» أي إشارة إلى وجود قناة رئيسة تصل بين نهري دجلة والفرات (انظر الخارطة رقم ٣). ويتصل بما سبق ما ذكر أسد رستم من أن شابور الثاني «أخطأ التقدير، فحسب أن الجيش الروماني سينطلق من نصيبين، فاتجه هو إلى دجلة لمقابلة أعدائه.»[١٤٦] فالكاتب لم يوضح: لماذا أخطأ شابور التقدير؟ هل كان مبعث الخطأ السرية التي أحيط بها تحرك الجيش البيزنطي؟ وهذا يعوزه الدليل ولم يذكره الكاتب. هل أخطأ شابور نتيجة لضعف الناحية الاستطلاعية والمراقبة لتحركات وزحف جوليان وجيشه أو انعادمها؟ وهذا أيضا ما لم يشر إليه رستم، ولو ذكره فإنه يضعف أمام ما أشار إليه الكاتب عينه أثناء تحدثه عن السفارة التي بعثها شابور إلى جوليان طالبا التفاوض والسلم قبيل زحف

---

(١٤٣) كريستنسن، *إيران*، ص ٣٨.
(١٤٤) كريستنسن، *إيران*، ص ٣٩.
(١٤٥) الطبري، *تاريخ الأمم*، ص ٦١.
(١٤٦) الطبري، *تاريخ الأمم*، ص ٨٥.

جوليان وجيشه «ولكن يوليانوس أبى أن يصغي إليهم، واكتفى بالقول ترونني.»[١٤٧] وربما كان السبب الذي جعل شابور يترك العاصمة ويتجه جهة نصيبين هو محاولة منع الاتصال بين المقاتلين الأرمن (بقيادة أرشك الثالث الذي تحالف معه جوليان) والجيش البيزنطي الذي حاول تنفيذه جوليان بإرساله القائد بروكوبيوس، الذي يبدو أنه فشل.

ومن الأسباب المباشرة للهزيمة عدم وحدة الصف في الجيش البيزنطي المهاجم من أجل الاختلاف الديني بين أفراده. ويعدّ تمكّن شابور الثاني من الحيلولة دون انضمام المقاتلين الأرمن بقيادة أرشك الثالث إلى الجيش البيزنطي شرق دجلة عاملا أساسيا في اندحار البيزنطيين. ويضاف إلى ما سبق أن جوليان لم يحسن التقدير عندما لم يتحالف مع العرب، ويمنحهم ما طلبوه لحماية طرق الإمداد من جهة، وعدم مهاجمته من جهة أخرى. وكذلك فإن وجود المانعين المائيين (نهري دجلة والفرات) خلف الجيش البيزنطي أعطى الساسانيين التميز حيث قاتلوا في مناطقٍ برية متصلة يعرفون طرقها ومفازاتها وطبوغرافيتها. وهناك أسباب غير مباشرة ساعدت على هزيمة البيزنطيين وانتصار الساسانيين منها: أن الإمبراطور جوليان ومن جلبهم معه من الجنود الجرمان والغاليين[١٤٨] ـ والذين لا نعلم إلى أي مدى كان هواهم تبعا لإمبراطورهم في مشاعره الوثنية ـ كانوا أقل دراية بطبيعة (طبوغرافية) وظروف المنطقة شرق دجلة بالذات. ويرتبط بذلك الاستفسار لماذا سلك الجيش البيزنطي لمهاجمة الساسانيين طريق بلاد ما بين النهرين ومعابرها المائية بدلا من طريق أرمينية؟ على الرغم من تحالف أرشك المسيحي حاكم القسم التابع للبيزنطيين من أرمينية الذي تنتشر فيه المسيحية مع جوليان الوثني؟ أكان للعامل الديني أثر في ذلك؟ ليس بوسع الباحث إعطاء مدلولات مؤكدة هذا أو نافية. ومن الأسباب غير المباشرة للهزيمة أيضا عدم التجانس العرقي. على كل حال، فقد خسرت الإمبراطورية البيزنطية بانتزاع القسم الذي كان ضمن تبعيتها من أرمينية التي انتشرت المسيحية بين مواطنيه جارا وواقيا من هجمات الساسانيين، وقاعدة انطلاق للهجمات البيزنطية ضدهم.

---

(١٤٧) Marcellinus, p. 451.

(١٤٨) Ibid.

أما من ناحية الملك شابور، فإننا نلاحظ أنه تعامل مع الهجوم البيزنطي منذ مرحلة الإعداد في أنطاكية بنهج لم يتبعه من قبل، وهو الإلحاح في طلب السلم والتفاوض، وهذا يدعونا إلى الاستفسار: لماذا سعى وكرر السعي للتفاوض على حين لم تكن لديه مشكلات داخلية تضطره إلى ذلك؟ وبعبارة أخرى: ربما كان مطلب شابور وسعيه في طلب السلم إن لم يكن أوعز لجوليان بضعف الدولة الساسانية لسبب أو لآخر فإنه رسّخ عزيمة جوليان على الهجوم والإسراع فيه ويتعلق بهذا عدم محاولة شابور الاصطدام بالجيش البيزنطي أو إعاقة هجومة قبل وصوله إلى منطقة شرق دجلة حيث جرت المعارك بين القوتين، وكان التميز المكاني للساسانيين.

أما فيما يتعلق بموقف شابور من المسيحيين في الدولة الساسانية وأرمينية عقب رحيل جوفيان فقد واصل اضطهاده لهم[١٤٩] في المناطق التي أصبحت ضمن تبعية الدولة. وبعبارة أخرى إن معاهدة عام ٣٦٣م التي كان أحد بنودها جعل عموم منطقة أرمينية يتبع النفوذ الساساني ربما حتّم على شابور ـ لتأكيد سلطانه ـ إنزال الضربات بحلفاء البيزنطيين، وبخاصة من طبقة الأشراف في أرمينية (الناخارار)[١٥٠] الذين اعتنقوا المسيحية وتابعت السلطة الساسانية سياستها المقترنة بالشدة والمداورة بما يوائم الظروف لتوطيد النفوذ الساساني في عموم أرمينية، وجعله نفوذًا ذا فعالية حيث يمكن إضعاف الرابطة بين أرمينية التي انتشرت فيها المسيحية والإمبراطورية البيزنطية. ولتحقيق ذلك قام شابور بعزل حاكم أرمينية حليف البيزنطيين أرشك الثالث واستدراجه إلى العاصمة الساسانية، وسجنه حيث انتحر هناك.[١٥١]

وكان شابور قد أسند حكم أرمينية إلى المواطنين البيزنطيين «كيلاكس» و«أرتبان» اللذين كانا قد لجآ إلى الدولة الساسانية وأردف ذلك باتخاذه «پاب» بن أرشك الثالث

---

(١٤٩) رستم، *الروم*، ص ٧٥.
(١٥٠) آميل، *تاريخ أرمينية*، ص ١٨.
(١٥١) كريستنسن، *إيران*، ص ٢٢٧.

حليفًا. وربما كان الباعث له على أنه لم يعين على حكم أرمينية أحد أبنائه كما فعل شابور الأول، أو أي حاكم ساساني، وإسناد الحكم إلى كيلاكس وأرتبان. وفي الوقت نفسه محالفة پاب هي محاولة من شابور لتهدئة الأحوال في البلاد، وبخاصة بعد عزل أرشك ونهايته. على أية حال لم يستمر كيلاكس وزميله في الحكم، ولعل ذلك لأن شابور علم بهدفهما وهو تنصيب پاب حاكما على أرمينية، ففكر ذو الأكتاف وقدّر فأوغر صدر پاب على «كيلاكس» و«أرتبان» إلى أن قتلهما وأضحى باب حاكما على أرمينية.

ويجب الإشارة إلى أنه من بين العوامل التي ساعدت شابور في ممارسة القمع المتطرف ضد المسيحيين في أرمينية وايبيريا (جورجيا) وكذلك المناطق المتاخمة للإمبراطورية البيزنطية[١٥٢] الحالة التي كانت عليها الإمبراطورية البيزنطية عقب توقيع معاهدة سنة ٣٦٣م، وعودة جوفيان ووفاته سنة ٣٦٤م[١٥٣] واقتسام حكم الإمبراطورية بين أخويه فالنتيان، الذي حكم الشطر الغربي وناصر مذهب مجمع نيقية، على حين بات حكم القسم الشرقي بيد فالنز الذي كان من المتعصبين للمذهب الأريوسي. كذلك ساعدت شابور في اضطهاد المسيحيين في أرمينية حالة الفوضى التي عمت أرجاءها.[١٥٤] إن اضطهاد ذي الأكتاف للمسيحيين في الدولة الساسانية وأرمينية عمق الهوة وأذكى العداء بين الدولة الساسانية و«العدوّ المواطن،»[١٥٥] أي المسيحيين الذين يشاركون الإمبراطور البيزنطي المشاعر من جهة وجعل السيطرة الساسانية على عموم أرمينية قصيرة الأجل من جهة أخرى.

من هذه الدراسة يمكن أن نخلص بالتالي إلى ما يلي:

١ ـ أن اتخاذ نيقوميديا وبعد ذلك القنسطنطينية مركزا للحكم أذكى أوار العداء بين البيزنطيين والساسانيين، وترجم إلى حروب لا تنقطع بين الدولتين، حيث جسدت

---

(١٥٢) كريستنسن، *إيران*، ص ٣٥٤.

(١٥٣) جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية*، ص ٩٧.

(١٥٤) Downey, p. 18.

(١٥٥) Grausset, *Histoire de l'Armenie des Origines à 1071* (Paris: Payout, 1947), pp. 82-85.

استمرارية الصراع تجسيدا يمنع زيادة قوة الدولتين في منطقة أرمينية، وفي الوقت نفسه لا يحول دون عقد المعاهدات.

٢ ـ انتشار الديانة المسيحية في أرمينية مهد لتوشيج الصلة بين الأرمن والإمبراطورية البيزنطية، مما كان له أثر كبير في ترجيح كفة الصراع بين الدولتين، وكينونة أرمينية في العصور الوسطى وربطها بالحضارة الهلنسية.

٣ ـ على الرغم من أن الملك أردشير كان قد جعل الزرادشتية الدين الرسمي للدولة الساسانية، وبسط نفوذ الدولة على أرمينية (٣٣٠م) قبل اعتراف قنسطنطين الأول بالمسيحية (٣١٣م)، إلا أن المسيحية انتشرت في أرمينية خلافا للزرادشتية. فهل مرد ذلك الشعور لدى الفرد الأرمني بقومية الزرادشتية وعالمية الديانة المسيحية؟ أم أن الزرادشتية تمثل النير الساساني؟ سواء كان هذا أم ذاك فإنه يتعذر على الباحث إعطاء إجابة شافية لهذا السؤال.

٤ ـ تأثرت التجارة بين الدولتين خلال هذه الفترة، لكنها لم تنقطع، لأن نصيبين ذات الموقع المميز على الطريق التجاري (طريق الحرير)، ومركز التبادل التجاري بين الدولتين كانت ضمن بنود معاهدة سنة ٢٩٧م بين الإمبراطور دقلديانوس ونرسي، ومعاهدة سنة ٣٦٣م بين الملك شابور الثاني وجوفيان.

٥ ـ أول ذكر لمشاركة المقاتلين الجرمان من غرب أوروبا للإمبراطورية البيزنطية حروبها ضد الساسانيين من حين نشأة القنسطنطينية، وذلك عند قدوم الإمبراطور جوليان من بلاد الغال بعد موت قنسطنطينوس ومهاجمة الدولة الساسانية.

٦ ـ لم يؤد انتشار الديانة المسيحية في ربوع أرمينية إلى القضاء على الصراع بين الأمراء المحليين من الأسر المتنفذة من طبقة «الناخارار» أو تخفيف حدته، أو قيام سلطة مركزية قوية قادرة على السيطرة على الأمور في منطقة أرمينية.

٧ ـ استمرار التناحر والتطاحن بين الأمراء المحليين من أسرتي «جمسرجان» و«ماسيكونيان» من الأسباب التي دفعت البيزنطيين والساسانيين إلى التدخل في أرمينية حيث ترتب على تذبذب ولاء «الناخارار» بين النفوذين البيزنطي والساساني فُقدان الساسانيين والبيزنطيين الثقة بالأمراء المحليين، وحالة الأمير باب ابن الملك أرشك الثالث دلالة على ذلك.

A Critical Study of the Byzo-Sasanian Conflict over Armenia from A.D. 284 to A.D. 364

Abd al-Aziz Darwish Hakim

Assistant Professor, History Department, College of Arts,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract: This research studies the conflict between the Byzantine and Sasanian states on the eve of the Middle Ages. The establishment of the Sasanian state and the succession of Diocletian reopened hostilities between the two states. The result was a big war which was fought mainly over Armenia, strategically and economically so important and for centuries a bone of contention between the two powers. In A.D. 297 Narsi was defeated and was forced to sign a treaty with the Byzantines by which Ctesiphon gave up its claims in Armenia.

Constantine's adherence to Christianity, and his establishment of "Constantinople" led to the spread of Christianity in Armenia. Internal troubles in the Byzantine empire after the death of Constantine came to Sasanian assistance and the energetic Shapur II was able to take advantage of this to terminate the internal troubles in the Sasanian state . Julian's expedition against the Sasanians ended in disaster. He himself was killed. Juvian at once had signed a treaty in A.D. 363 with the Sasanians in which Armenia was ceded to them.